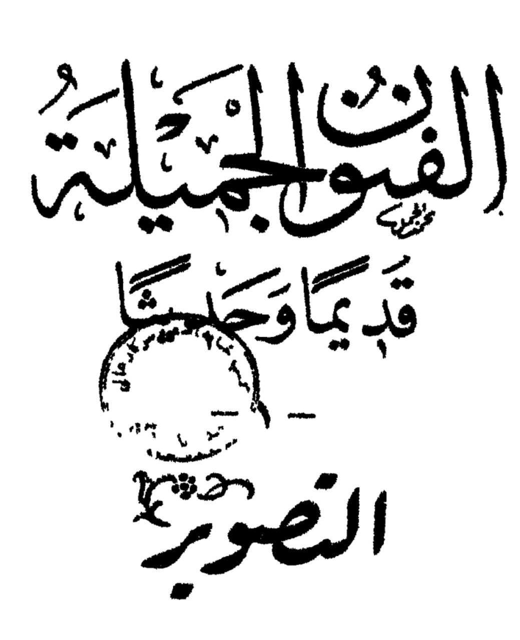


تأليف

أحمد يوسف

الفنون الجميلة

قديماً وحديثاً

١

التصوير

تأليف

أحمد يوسف

« الفنون الجميلة عنوان مجد الامة »

الطبعة الاولى

سنة ١٣٤١ هـ — سنة ١٩٢٢ م

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر

لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي

اهداء الكتاب

الى الناهضة الحديثة

الى ربة المجد

الى ام الحضارة

الى وطنى العزيز

الى مصر

أول من سطع فيها مصباح الفنون الجميلة فأنار قلوب العالم ومكن فيها الايمان

اليها — أقدم رسائلى وأهدى أعمالى آملا أن تحل عندها المحل الجميل ؟



﴿ صورة المؤلف ﴾

ولد سنة ١٩٠٤

كلمة شكر

لوالدى العزيز

سيدي الوالد

علّمت فأحسنت ، وأدبت فهذبت ، وغرست فحصدت . وهذه ثمرة طيبة من ثمار غرسك ، ممثلة فى هذا الكتاب . وهو برهان عظيم على عنايتك الحميدة بى .

وانى مادمت أشكر همتك وأثني عليك ، وهيهات أن أستطيع وفاء ماعلىّ نحوك ؟

ولدك المطيع

« احمد يوسف »



الحمـد لله الذى صوركم فاحسن صوركم . والصلاة والسلام على أجمل خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

شعب مصر الـكريم

« من روحكم العالية أستمد قوة لروحى »

(وبعد) فلما نهضت مصر نهضتها المباركة . وأنهضت ماخمل بهامن الفنون بهمة الساهرين على رفعة الوطن العزيز من أبنائه المخلصين . رأيت ان أقوم ببعض الواجب علي نحو أمتي الـكريمة . ودفعني حبي لخدمة العلم وإخلاصى لاهله ولوطنى الى وضع رسائل عن تلك الفنون الحديثة النهضة فى هذا البـلد الامين . حتى تتم فائدة النـا شئة .

أسميتها (الفنون الجميلة قديماً وحديثاً) تضمنت التصوير .

فالموسيقى . فالتمثيل ، فالنحت . فالعمارة . فالرسم ، فالشعر . فالخط أشرف عليها حضرة والدى الجليل [1] وزودنى بتشجيعه فى ذلك . وكلنا لا نجهل فضل الفنون الجميلة فى حضارة الامم وتمدينها ورفع شأنها وإعلاء مركزها ، ولا ننكر أثرها الفعال في الدول العظيمة . والممالك المختلفة

وانى على صغر سنى قد بذلت غاية الجهد ، لأؤدى للفن دينه ، ولا أظننى وفيت شيئاً منه ، فليتقدم اليه كل من يرغب فيه . وليصالحه عاملا له ما يرضيه
بدأت العمل . مثابرا عليه . حتى أتممت رسالة «التصوير» آملاً ان يرضى عملي العاملين فى الوطن العزيز ، وان يقابلوه بالتشجيع . آخذين بناصر الفنون الجميلة . ولمصر فى أبنائها الامل والرجاء م ؟

المؤلف

غرة محرم سنة ١٣٤١

---

(١) هو حضرة المؤرخ البحاثه والعالم الآثارى « يوسف أفندي احمد » مفتش الآثار العربية بوزارة الاوقاف

كلمات مأثورة [1]

فى الفنون الجميلة

الفنون الجميلة . هى أثمن درة فى تاج الحضارة والمدنيه

***

الفنون الجميلة ، هي اكبر بنات المدنية سناً وأبهجهن شكلا

***

الفنون الجميلة والمدنية ، صنوان لا يفرقهما الاّ الموت

***

الفنون الجميلة، كتاب مفتوح يقرأه بلغة الوجدان كل غادٍ ورائح

***

الفنون الجميلة، هى لغة الروح ،ولسان الطبيعة ، وترجمان الجمال

***

ماوقع نظرى على الاهرام، حتى تمثلت أمامى المدنية المصرية القديمة ببديع شكلها

(١) لكبار الحكماء

لقد تهت بين الحبيب وصورته ، فلست أدرى أيهما أعشق

***

حسب الفنون الجميلة فخراً أنها لغة الروح — والروح معنى الوجود

كلمات للمؤلف

لولا رسوم على الآثار، ونقوش فى جدرانها، وخطوط تضمنت تاريخ أجدادنا . لجهلنا الى الأبد مجدنا، ولخمدت فى نفوسنا الآمال ، وتلاشت وطنيتنا

***

عجبي للفن الجميل، يأسر قلوب الناس، ويسكر هذا العالم ، وما هو غير رقم على ورق . أو نغمات في الهواء

***

ان عبقرية الشاعر، وبراعة المصور .ومهارة الموسيقى من رقة الشعور .فان ٦ق شعوري فانا فى عداد الفنيين

***

الفنون الجميلة ، هي روح الطبيعة توحي الى قلوب الناس

***

المصور رسول الطبيعة للناس

***

المصور زينة الوجود ، والموسيقى حسنه

***

المصور، والموسيقى،والشاعر ، هم كل الامة . فانا لا أعد نفسى رجلاً عظيماً الا اذا كنت من هؤلاء الثلاثة

***

المصور فى العالم جسمه ، والموسيقى روحه ، والشاعر قلبه ، فان لم يوجد هؤلاء الثلاثة فيه . فاين العالم ؟

﴿ كلمتان لشاعرين كبيرين[1] ﴾

– ١ –

الفنون جميعها مصادرها وبواعثها واحدة . وهى جميعاً مظاهر لشىء واحد تستخدم وسائل شتي لغاية واحدة أو لغايات متقاربة

« فروفائيل» كما يقول أمرسن — يصورها «وهاندل» يغنيها « وفدياس » يحفرها «وشكسبير » ينظمها « ورن» يشيدها « وكلمب » يفرق البحر اليها « ولوثر » يعظ بها « وواشنطن » يسلحها .

ولقد كان التصوير يسمي « الشعر الصامت » والشعر يدعى « التصوير الناطق »

ونحن نعلم يقينا أن بيننا من اهل الشغف بالفنون الجميلة من يريدون أن يهدوا مااقتنوا من براعاتها الى متحف

---

(١) منتخبتان من مقالتين لهما عن معرض القاهرة ظهرتا حديثا بجريدتى الاخبار والاهرام

مصرى — ولكن أين هذا المتحف ؟ والى من يهدونها ؟ ؟ سنظل متفرقه هذه الخارجيات لا يعلم بوجودها أحد. ولا يحسها انسان، ولا يكون لها أثر في حياتنا، لانها خاصة يملكها الافراد، ولا سبيل للجماعة الى بيوت الافراد

فماذا يمنع أن تجمع شتاتها مصلحة واحدة . توقظ لها عقلها ووواها ومواردها ومساعيها وكفاآت رجالها ؛ ، وأن نعهد هذه المصلحة سير الفنون الجميلة فى ظل الفنون المديعة فينشأ لنا فن معقود الحاضر بماضيه الباهر ؟

نفضت الأمة عنها عبار الخمول ونبهت — وليست كذلك الحكومة — وان شئت أن تعرف كيف هذا فتأمل كيف رعايتها للآثار من عربيه ومصرية، وكيف تعهدها للفنون

هذا معنى لذ الامة أن تتدبره، وتفكر فيه، وهو معنى باق خالد ما بقى تاريخ النهضة المصرية الحديثة ؟

ابراهيم عبد القادر المازنى

(جزء من معرض الصور
(القاهرة) سنة ١٩٢٢)
ويشاهد أعمال المصورين على
الجدران وفي الوسط تمثال
رقص اللوتس للاميرة
سميحة طاهر

— ٢ —

ما أظن العالم مستطيعا أن ينصف أي رجل من عباقرة الفن فى مايخوله من عطف وإعجاب ، وان بلغ الغاية فى الظاهر

لهذا وجب ان ينظر الى اعمال رجال الفنون كبارهم وصغارهم من ارحب الجوانب الممكنة ومن اكثرها اتساعا للتصحيح والمناقشة ، ووجب ان يلقوا من عطف الجمهور مايستحقونه وأكثر فى بعض الاحيان. لان الفنون لاتحيا بغير عطف كبير. ولان هذا العطف مما يدل على تهذيب النفوس ونمو حاسة الجمال، وضرر الافراط فيه ان كان صادقاً لا يذكر الى جانب الضرر الذى ينجم عن الاهمال أو الذى يتم الاهمال عليه

ولسنا ندرى هل يلقى فن التصوير عند جمهورنا مايستحقه من العطف أو يلقي منهم دون ذلك

بودّنا لو نرى جمهورنا أعرف بقيم الصور ، والتحف الفنية. وأملنا القوى في ان تكون غيرتهم على الفن أعظم

عباس محمود العقاد

نوابغ المصريين

فى التصوير

أحلي صدر كتابى باسم كل نابغ في هذا البلد . وكل فنى عظيم ، وأفتتح رسائلى بذكر هؤلاء العظماء الذين مثلوا مجد مصر في اعمالهم العظيمة ، لعلي أقضى بذلك بعض واجب الوطن نحوهم من الشكران

مصر مدينة لابنائها النابغين ، ولكنه حق الوطنية الصادقة فمن شاء فليبادر الى هذا الميدان فان المجال متسع لكل ناهض

***

إن مصر لنفتخر بالمصورة المصرية صاحبة السمو السلطانى الاميرة (سميحه حسين) عشقت الفنون الجميلة ، وشغفت بالتصوير . فتلقتـه فى فرنسا على يد أسـاطين الفن هناك وفي مصر على يد مصورين إيطاليين . فأظهرت من البراعة والذكاء المصرى ماأعجب بهأساتذتها وتشهد لها آثار يديها فى معارض القاهرة

***



(صورة النهضة المصرية)

أو مصر السائرة في طريق التقدم — من عمل الأستاذ المصري (محمد افندي ناجي)

وقد عرضت في « صالون دي باري » بفرنسا

وان ولونا مفعمه بالماء لذلك المصور الشهير حضرة الاستاد « محمد افندى ناجى » حاز شهادة الليسنسيه من مدرسة الحقوق المالكية . وشغف بفن التصوير وهواه. فتلقاه فى مدينة (فيرنزه) بايطاليا وهو يذهب الى فرنسا فى كل صيف ويعرض بها صوره وأعماله التى تؤهله لان يعد فى الطبقه الاولى بين المصورين

* * *

وكل الافتخار لذلك المصور الكبير حضرة الاستاد « محمد افندى حسن خريج مدرسة الفنون الجميلة . سافر الى انكلترا من سنه ١٩١٦ الى سنة ١٩١٩ فتمم دراسة الفنون فى دور الفنون بها . وبرع فى التصوير بالقلم الرصاص ، وتفوق في حرفة التصوير وهو الآن مدرس فن الزخرفة ووكيل مدرسة الفنون والزخارف

* *

والنابغ العظيم حضرة الاستاد «على افندي الاهواني» كان طالبا فى مدرسة الفنون الجميلة وسافر الى ايطاليا على نفقته

وتلقى فن التصوير بالمعهد الملوكي للفنون الجميلة ثم عاد الي مصر بسبب الحرب، وسافر الى إيطاليا لفرصة احراز شهادة الدبلومه من المعهد المذكور. فنالها. وعاد الي مصر سنة ١٩٢٠ ، وهو مغرم بتصوير المناظر عن الطبيعة وهو الآن مدرس الرسم بمدارس وزارة الاوقاف

***

وحضرة المتفوق الاستاذ «يوسف افندى كامل» كان طالبا بمدرسة الفنون الجميلة ، وكان من المتقدمين فيها، فتخرج قبل أخذ شهادة الدبلومة . واشتغل بتدريس الرسم فى المدارس الثانوية. مغرم بتصوير المناظر الاثرية والاسواق. وأعماله تشهد بتقدمه الكبير وتفوقه فى فنه . وهو الآن بايطاليا

***

وحضرة النابغ البارع الاستاذ «راغب افندي عياد» كان طالبا بمدرسة الفنون الجميلة . ولم يتمم الدراسة بها . بل سافر الى باريس سنة ١٩١٤ ومكث بها ثلاثة شهور معاينا الفن فى كل مكان . ثم سافر مرة ثانية سنة ١٩١٩ ومكث بها

أربعة أشهر ، وأمضى خمسة شهور أخرى بين فرنسا وايطاليا ثم عاد الى مصر فاشتغل مدرسا للرسم بالمدارس الثانوية مغرم بألوان «الباستيل» تفوق وتفرد في تكوين ألوانها Colour Composition وهو قوى الذاكرة سليم الذوق يصور هيئات الانسان كما هي Impressionist

***

وحضرة المصور الاستاذ « على افندي حسن » كان طالبا بمدرسة الفنون الجميلة. وسافر قبل أن تتمم الدراسة بها الى إيطاليا ببعض مساعدة مالية من المرحوم عمر باشا سلطان ، ومكث بها تسع سنوات بينها سني الحرب واشتغل في التصوير بأنواعه . وعمل صوراً خصوصية نالت استحسان الجمهور الايطالي

***

وحضرة الاستاذ القدير « احمد افندي لطفي » نال شهادة الدبلومة في التصوير من مدرسة الفنون الجميله المصرية وكان اول الفائزين فيها سنة ١٩١٦ وعين مدرسا للرسم بالمدرسة

الالهامية . ثم سافر الى إيطاليا لزيارة دور الفنون الجميلة هناك . برع فى التصوير بالزيت عايشهدله بأسبقيته

***

وحضرة المصور الماهر الاستاذ «احمد افندى صبري» نال دبلومة التصوير من مدرسه الفنون الجميلة. وسافر الى فرنسا، فاشتغل بالفن ومازال يعانيه حتى برع فيه. وتمكن من حروه وأعماله تشهدله بالعبقرية والمقدرة . وترفع قدره بين مشاهير الفن

***

وحضرة النابغ الاستاذ «محمود بك سعيد» وكيل النيابة بالمحكمة المختلطة بالمنصورة . اشتغل بالتصوير (هاويا) فاتقن فنه ونبغ فيه . يتردد الى دور الفنون الجميلة . ومتاحف أوربا. فيتشبع بالفن وأعمال ذلك الاستاذ تجعله فى عداد المصورين المعروفين

***

ومثال الناهضين ذلك النابغ المتفوق حضرة الاستاذ «إيهاب افندي خلوصى» كان طالبا بمدرسة الفنون الجميلة

ثم تركها واشتغل في فن التصوير (هاويا)ومارسه كثيراً ، وشغف بالتصوير الرمزى (كاريكاتير)فكان أعظم مصوّريه وهو الآن بالمانيا

هؤلاء الذين احيوا الفن في مصر . وهم فخرها ، ومثال العاملين فيها . يضمون لها طيّ خيالهم وسلامة أذواقهم ، مجداً عظيما وفخراً عاليا . وسيظل اسمهم الى الابد منقوشاً . في تاريخ الفنون الجميلة فى هذه الديار ، مكتوبا بأحرف العظمة والافتخار .

تمهيد

الفنون الجميلة [1]

لا تظهر الفنون الجميلة ، والصنائع الحقيقية، عند أمة من الامم الا متى تمدينت تلك الامة وارتفعت الى درجة قابلة لغرس تلك المعارف، واستعدت العقول لملاقاتها ، وتمهدت السبل لانتشارها . حتي أنها متى أقبلت على أفراد الامة لاقاها الجميع بالترحاب واحتضنوها ، وأعزوها ، وأكرموها ، فتنمو وتزهر . وتنتج من عجائبها ما يجعل الامة التى كانت بالامس فى زوايا النسيان، دولة ذات عز وفخر وجاه . وما الفنون الا مقياس التمدن . وماخلدت أمة فى التاريخ وسطرت حوادثها على صفحاته الا بفنونها . وما اضطربت قلوبنا ، وحارت

---

(١) من مقالة لحضرة احمد افندي فهمى احد الطلبة المهندسين فى مدرسة الفنون الجميلة بباريس في سنة ١٨٨٧ م ظهرت في الجزء الخامس من المجلد الحادي عشر من مجلة المقتطف

عقولنا . وخضعت أنفسنا إجلالا وتعظيما ، عندرؤية خرائب منفيس ، أوطوة ، أوبابل . أوأثينا ، أورومية ، أوغيرهن. أوعندسمع أسمائ‌ين . الالماحوين من الآثارالغريبة، والتحف الجليلة . فهى وان كانت صغيرة عند صغار العقول ، الا انها عظيمة القدر لدى كل انسان تمدن ، وعرف مقام ماتحتويه هذه البقايا العزيزة . وكلما زاد تمدنه ، زاد احترامها عنده ، واشتهي ان يقتدى بذوى القرائح الوقادة، الذين تفرغوا لها ، وقضوا حياتهم فى خدمتها ، وانشائها . حتى أن اسمه ينقش مثلهم بأحرف أبديةعلى قلوب العلماء ، والمتفننين ، ويستحق أن يكون في طبقتهم الرفيعة ، التي تفضلواوسادوا بهاعلي جميع الناس ، بنفع وطنهم، وخدمته ، والمساعدةعلى ارتقائه . ويصير موضوعا للمدح والثناء ، مامرت القرون ، وتعاقبت الادوار

ولنعرف الآن الفنون تعريفا عموميا . ثم نميز بينها ، ونقسمها على حسب أقسامها الاصلية . التى وضعها لها الفلاسفة وأرباب الفنون

نكتفي بما قاله (دالامبير) الذي عرف الفنون فقال : « انها معارف مؤسسة على قواعد ثابتة لاتتغير ، وحرة بحيث أنها لا تتبع أي ارادة كانت ، ولا تتعلق بأى رأى من الآراء »

هذا هو تعريفها العام . وأما وظيفتها العامة . فهى الاشتغال بأعمال تأول الى حفظ الحياة والراحة . أو الى تصنيف شيء مفيد طلي . عقلياً كان أو ادبياً . ولهذا انقسمت الفنون الي قسمين كبيرين أصليين : بدنية . وعقلية

فالغرض من الفنون البدنية إما استخراج ما فى الطبيعة للانتفاع به . وذلك مثل فن الزراعة . وإما تحويل عناصرها من حالة الى اخرى . ويتولد من هذا التحويل فرعان : وهما الفنون الصناعية . والفنون اليدويه

فالفنون الصناعية : هى العمليات الميكانيكية ، أو الطبيعية . أو الكيماويه . التى تتمكن بها الصناعة من انتاج ما يسمونه بالمصطنعات الفنية . وهى اما رسمية ، أو تصويرية مجسمة (كالصور المصنوعة من الطين ، أو الشمع

أو نحوها) : فالفوتوغرافيا ، والطلي الكهربائى ، وفن طبع الرسم الملوّن بمساعدة الليتوغرافيا ، والتكبير ، أو التصغير بالبانتوغراف . وفن تقليد النقش بالطين المصنوع من المقوّى أو الشمع أو طينة الفخار ، والتقطيع الميكانيكي ، وفن الحفر بمساعدة الفوتوغرافيا . وغير ذلك مما يصعب حصره ، كلها فنون صناعية

والفنون اليدوية : هى صناعة الحرير ، والصوف ، والقطن ، والذهب . والفضة ، والنسيج الخ . وجميع هذه الفنون ، تنقسم الى اقسام لانهايه لعددها . وذلك بالنظر الى كثرة العمليات المستعملة فيها ، والاغراض التى تميل دائما الى إدراكها

وأما القسم الثانى الاصلى : وهو الفنون العقلية . فانه نتيجة الفكر ، والتصور . وينقسم الى قسمين أيضا : قسم لايحتاج الا الى العقل فقط لاجل الاشتغال به ، ومعرفة دقائقه ، وهو الصرف ، والنحو ، وما يتعلق بهما . وقسم يحتاج الي العقل والحواس في آن واحد . وهو الفنون

الجميلة . ويتفرع الى فرعين : فرع صوتى . وهو الفصاحة والشعر ، والموسيقى . والفرع الآخر رسمى . وهو فن العمارة ، وفن التصوير ، وفن النقش

أما فضل الفنون الجميلة على التمدن ، فلا ينكره الا الجاهل . ولذلك لا نتعرض لاثباته . ولا لنعيين أسمى درجة يمكنها بلوغها فى تمدن الشعوب . لان ذلك يعجز عنه أعظم العقول ، ويقصر فيه أبلغ الاقلام . فالذي يحب أن يعرف مكان الفنون الجميلة من الاعتبار والاهتمام ، وما بلغت اليه من الاتقان والاحكام ، فليبحث عنه عند الأمم الغربية التى حازت قصبات السبق ، وصارت مطمحا بصار الطامعين فى العلاء ، وقدوة الراغبين فى الترقي والفلاح . واذا قلت ولماذا حلوا الفنون الجميلة هذا المحل الرفيع ؟ وما السبب فى اعتنائهم بها هذا الاعتناء ، ورغبتهم فيها هذه الرغبة ؟

قلت : ذلك لثلاثة اسباب

السبب الاول . أنه متى أتي أمر الله على أمة ذات عزة ووجاهة ، وأبرم القضاء بانقضائها . لم يبق ما ينبيء بذكرها ،

وتمدنها ، ورفعة مقامها ، غير فنونها الجميلة . فهى التى تحيي ذكرها ، وتعيد تاريخها ، وتكشف عوائدها ، وما كان لها من العظمة والشان ، في غابر الازمان . ولو لم يبق منها الا بلقع صفصف ، تسكنه بنات آوى ، وينعق فيه البوم والغربان .

والسبب الثانى : شدة تأثير هذه الفنون فى عوائد الناس وأخلاقهم الادبية . واطباعهم الفطرية ، وفى الاجتماع الانسانى عموماً .

والسبب الثالث : تأثيرها في الصنائع

ولما كانت الفنون الجميلة . هى الحافظ الأمين للجمال فى العالم ، وغايتها وصفه ، واظهاره للحواس ، فى صور محسوسة ، على قدر الطاقة . فيكون تدميث الاخلاق . وتحسين الاذواق ، وتهذيب المشارب ، وتطهير العوائد ، من متعلقاتها . فكلما شاعت وعمت في الأمة تعززت الفضيلة ، وعمت الافراد فاصلحت آدابهم . وحضتهم على قضاء واجباتهم . واحكمت نظام اجتماعهم . و بذلك تبين لك السبب

الثاني من الاسباب الثلاثة السابق ذكرها . وهو تأثير الفنون الجميلة ، فى الأخلاق ، والعوائد ، والاجتماع الانسانى

اما السبب الثالث : وهو تأثيرها فى الصنائع فظاهر ، لانه لما كانت كل الأشغال فيها جميلة ، متناسبة الاجزاء . كان انتشارها بين الناس عموماً ، وأصحاب الصنائع خصوصا مما يربى الذوق العقلى فيهم على حب الجميل ، ويحملهم على تحري الجمال فى المصنوعات فتأتى مصنوعاتهم متقنة ، متناسبة الاجزاء ، مستوفية شروط الجمال . وبدخول الجمال فى صنائعهم ، تدخل فضائله الى اعمالهم ، واخلاقهم ، واقوالهم

والنشاط العقلي الذى يشاهد فى الامم المتمدنة ، راجع الى انتشار الفنون الجميلة بينها : لأن هذه الفنون هى غذاء الذوق ؛ وبها نماؤه . والذوق السليم الرقيق يميز المتمدن عن غيره ، بجعله قابلاً للتأثر اللطيف مما حوله . ولهذا ترى انك إذا نقلت انسانا من سكان المدائن ، الي مدينة اخرى مختلفة

عن مدن بلاده، في عوائدها . ومشاربها ، واصطلاحاتها ، ولغتها ، فانه يسلك مع اهلها في زمان قصير . ويستسهل ممازجتهم ، ومعاشرتهم ، أكثر مما يستسهلها فلاح أتى تلك المدينة ، من قرية قريبة اليها ، مشابهة لها في عوائدها ولغتها . وما ذلك الا لأن الغريب قد ربى ذوقه على الفنون الجميلة . والفلاح لم يرب ذوقه عليها . لوجود هذه الفنون في المدن أكثر مما في القري عادة . فسهلت على الغريب ما استصعب بدونها على القريب

ولا يخفى أن الفنون الجميلة ، تعلم الانسان في زمان قصير ، وجهد يسير ، مالا يتعلمه بدونها الا بعد الوقت الطويل ، والجهد الشديد . فقد يقضي العالم البعيد عن ديار الفنون أيامه ، مكباً على كتبه ، باذلا القوى في استيعاب ما فيها ، ليفهم أمرا ربما فهمه العامي في هنيهة من الزمان بمجرد اطلاعه على صورته في ديار الفنون. ثم يغلب أن العالم ينسى مع الايام ما حصله بالجهد والمشقة وطول الامعان . والعامي لا ينسى ما حصله في لحظة بلا جهد ولا مشقة . وسبب

ذلك ظاهر : وهو ان الصور العيانيـة ، تحفظ في الذهن حفظاً أتم من حفظ الصور الخيالية . وبالأجمال ، تقول : ما اشتغل أحد فى الفنون الجميلة ، الاّ تنبهت قريحته من حال السكون والجمود ، الى حال الابتكار والابتداع. إذ الابتداع أوالاختراع شرط من شروط الفنون . وكل مباحثها وتفاصيلها مباحث عقلية ، مقوية للاذهان ؟

أحمد فهمى

— ١ —

نهضة الفنون الجميلة

بمصر

لقد تقدمت حركة الفنون الجميلة في مصر ، تقدما لم يكن يخطر ببال ، من يوم أسس سمو الامير « يوسف كمال » مدرسة الفنون الجميلة المصرية ، من عشر سنوات

ان غرس يدي سمو الامير . وحسن عنايته . أثمرا أحسن ثمر . وهو أعظم بكثير مما كان يؤمل عند تأسيس تلك المدرسة فان أغلب الشبان المشتغلين بالفنون الجميلة ، الذين يولون بلادهم فخرا ، هم من خريجي تلك المدرسة

ان هذا التقدم الباهر السريع ، يبدو جلياً لمن يزور (معارض القاهرة) حيث يجد الزائر ما يشرح صدره ، ويقر ناظره . لما يجد من التقدم . والنجاح . اللذين حازتهما الشبيبة المصرية في هذا الزمن القصير . فان من زار المعارض

التى اقيمت فى السنة الماضية ، وشاهد معروضات هذه السنة ؛ يدرك الفرق الكبير بين المعرضين

فقد شاهدنا معروضات العارضين في هذه السنة ؛ فألفيناها احسن بكثير. وذلك مما يدل على مبلغ تقدمهم فى هذه الفنون . فقد اصلحو الكثير من غلطاتهم . وذلك برهان على فهمهم ما تلقوه من الدروس . اثناء السنة . ولذا فان الامل عظيم ، فى أنهم سيتوقلون سلم التقدم والترقى في هذه الفنون الجميلة ، مستفيدين من تجاربهم الشخصية ، واختباراتهم العلمية ، على مر الايام : اذ من البديهى أن كل مشتغل بفن من الفنون لا يمكنه ان يبلغ المهارة ، والاتقان. واكتساب الشخصية ، والشهرة، فى بضعة أيام ، أوسنوات قلائل . انما الامر يحتاج إلى زمن طويل، وممارسة متواصلة ودرس دقيق لمصنوعات كبار الفنيين فى مختلف أزمنة التاريخ ، وتطبيق تلك الدروس عملياً حتى يتسنى له ان يكون من نوابغ فنه

نعم : ان من الناس من لا يمكنهم الوصول الى درجة النبوغ . الا أنهم بالمثابرة ، والاجتهاد ، لابد ان يبلغوا احداً متوسطاً . فيحوزون رضاء الجمهور . وان لم تخل بعض اعمالهم من نقد الاخصائيين ، المدققين

ان هذه الطبقه من الفنيين ، معتبرة من العمال النافعين المشكورين . حيث إن اجتهادهم فى عملهم ، يوجب لهم الاحترام

وهناك طبقة أخري من النوابغ ، الذين ينيرون ما حولهم ، بسمو خيالهم الغريزى . والذين تعتبر مصنوعاتهم من الطُّرف النادرة . ولكن هؤلاء لا يظهرون الا بين زمن وآخر . وفى كثير من الاحيان ، تظل اعمال امثال هؤلاء مجهولة من معاصريهم . كاعمال كل نابغة سابق لأوانه . فلا تقدر أقدارهم ، الا بعد موتهم . وحينئذ تسجل أسمائهم بين مشاهير رجال الفن

على ان الشبيبة الفنية فى مصر ، ما زالت فتيَّة . ومع ذلك نجد منها ما يبشر بمستقبل باهر مجيد

ولسنا نقول هذا القول للتغرير بهم ، فينسجون على منــوال بعض النوابغ ، الذين يرغبون عن الظهور . كلا : بل نحن نذكر حقيقة واقعة . فلينظر كلٌ ما عنده من سمو الخيال ، وسلامة الذوق ، والمقدرة العالية . كي ينهض بهذه الفنون ، الى أسمى درجات الـكمال . ؟

الدكتور فينيون

(نقلا عن مجلة النشرة الاقتصادية الغراء)

- ٢ -

احياء الفن

اذا نبغ في البلد مصور فكرموه ، وان ظهر فيه رجل فنى فعظموه ، هو كل آمال الامم ، فاحترموه ، وأكبروه .

ان في البلد روحا كامنة فى ابنائه ، فشجعوا هذا النشء ليرقى ذلك البلد

أحيوا الفن فى مصر . أنصروا الفنون الجميلة . أعشقوا الجمال والطبيعة . ونحن نكفل للبلد ، تقدمه ، ونهضته

مارسوا حرفة التصوير. اقدموا على تلك الحرفة العالية الجميلة . فكل من في البلد من المصورين. لايزيدون على عدد أصابع اليد

مجد آبائكم ارجعوه ، واضمنوا لمصر أمانيها وآمالها . انتم الذين اخترعتم هذا الفن[1] ، وعلمتموه العالم . فحافظوا

---

(١) يراجع باب التصوير عندقدماء المصريين فى هذا الكتاب

عليه، وأبقوه في مصر. فانه اذا أهمله قوم تركهم فى سباتهم، وغادر دارهم الي حيث يطيب له المنزل. فى بلد يقدره حق قدره — والحمدلله. نخير دليل على ذلك، عظمة ايطاليا — وكان اولى بمصر أن تنصره

على انكم لو أعرتم ذلك الفن بعض الالتفات، اضمنت مصر رجالا عظماء، ومستقبلا باهراً.

— حياة الامم بقدر الفنيين فيها —

وقد افلحت (فلورنسا [1]) بهمة رجالها الفنيين ان أيّ انتباه منكم الى ذلك الفن نهضة، فأتموا نهضة الفن فى مصر. حتى تعظم وتكبر

ايها الاباء. علموا ابناءكم حب الطبيعه. اغرسوا فى نفوسهم الجمال والحسن. وشجعوهم بكل وسيلة

ايها الابناء. لا يبقي علي احدكم الا ان يقول: «إن آمالى عظيمة، فى حياتي حياة عالية، بحرفة التصوير»

---

(١) فلورنسا بايطاليا كانت مهد الفنون الجميلة نبغ منها أساطين الفن العظماء ولا تزال عظمتها فى التصوير باقية الى الآن

- ٣ -

الطبيعة والفنون الجميلة

« يوجد معلم عظيم جداً فى هذه الدنيا مع أنه جماد لايتحرك — هو الطبيعة »

هى مربيتى الكبرى . بعثت فى نفسى الحياة. وعلمتنى معنى الوجود . وأوقفتنى على رموز الكون وأسرار الخليقة

تحت سيطرتها نشأت ، وفى رحمتها أعيش . لوشاءت حاربتنى فأنهزم أمامها . ولاأقوى عليها ، وان شاءت أسرت ابى ، واطربتنى ، فهي قوية جميلة !.

كم ضلت رجال فى معرفة حقيقتها ، وخدعتهم مظاهرها ومؤثراتها ، وادهشتهم أعاجيبها ، وغرائبها ، وغرتهم قوتها وأسرارها ، فعبدوها . وحسبوها القوية القادرة. التي تسير العوالم، وتملك زمام الكون ، ولم يذكروا مصورها ، الذي

جملها بالحسن. وصانعها الذى يسيرها بأمره، ويصورها كيف اراد

جمال الطبيعة جذاب . يفتن القلوب . ويثير فيها العواطف ، ويؤثر فى قلوب من يقدرون الجمال

من لى بوقفة مع الطبيعة ،فقد تحلو معها العزلة، ويطيب لى معها الحديث

من لى بوقفة إلى جانبها ، فأنى أقدر على فهم رموزها، وحل الغازها .

لقد وهبها الله الجمال، وجملها بالحسن. وصورها فى أحسن تصوير سبحانه ما أبدعه :

« علمت الشاعر كيف يقول الشعر ، ويعبر عن احساسه، ووجدانه، وأوحت الى الموسيقى آيات العواطف ، وعذب النغمات ، والالحان ، وألهمت المصور تلك الاصباغ البديعة ، والصور الحية ، التي تؤلف لا زاج معنى مقتبسا من الجمال »

للطبيعة الفضل على عشاق الفنون . تبعث فى نفوسهم

جمالها ، وتنفث فيهم وحيها . فتهذبهم وتغذيهم بالعبقرية ، وتطعمهم بالنبوغ

الطبيعة صادقة لاتكذبها الظواهر — لها فى الفنون الجميلة غايات ساميات

هى ام الفنون (وطينتهـا التى خلقت منها) ، وهى أم عجائب

قال العلامة رو : « لقيت فى إحدى سفراتى إلى أويل رجلا من عمال الجرك فأرانى صخراً مخروطى الشكل، قائما على بساط من أرض فلسرين، وقال لي إن مياه الشتاء نحتت عليه صورة امرأة . وكأن الرسم من صنع امهر النقاشين لما فيه من اتقان العمل . ولما صوبت نظرى الي الصخر المشار اليه . ادهشنى مارأيت فيه من احكام الصنعة ، فيما رسمته الطبيعة . من ملامح الوجه كالجبهة ، والعين . والانف . والفم ، والاذن ، والذقن — وليس مارأيته بالامر الشاذ ، فان للطبيعة يد ابرع الرسامين في نحت صور

الأحياء على صفائح الصخور ، وجذوع الاشجار »

للطبيعة كل نادر ، ولها كل عجيب، وتأتي بالمعجزات

علمتني الطبيعة معنى الحياة—والسعادة فى فهم معنى الحياة

لم تقصر الطبيعة فى حق وجودها ،ولا فى حق إنسان

— فلا تتهموا الطبيعة فأنها قامت لكم بواجبها، وما عليكم إلا القيام بواجبكم

-٤-

تأثير الطبيعة في الناس

ينشأ الطفل ، فينظر الى العالم نظرة الدهش المتعجب مما حوله ، ثم لا يلبث ان يحتقره ، ويصرف همه فى اللعب والمرح ، والسرور . ويبتديء دور صباه ، كله فرح وهناء لا يعرف من أمر معيشته الا أنه خلق لينام مساء ، ومتى انبثق نور الصباح ، يلزم وظيفته الوحيدة فى اللعب والتنزه

يصور المصوّر صورة أيام صباه الحلوة السعيدة فتكون حلية من حلى الطبيعة على ما فيها من الحسن والسذاجة وعدم تكلف الواجب

ومتى شبَّ ورشد نهض نهضة صغيرة ، فعرف شيأ عن حقيقة الكون ، وعلم أن الشمس التي كان يعدها مصباحا فى صباه ، والقمر الذى كان يخاف منه في الليل ، مسيران لمنفعته ، وان الوجود مملوء بالمناظر الجميلة وتلك البساتين والحقول والحدائق ، رياض اعدت للحياة الهادئة

اللطيفة . وانها في الحقيقة ، مدرسة كبيرة للمصورين والرسامين . ينقلون جمالها للناس في صورهم ، ورسومهم، فيمكنون ايمانهم بالخالق الاكبر .

يبدأ الطفل حياة المعرفة والتأمل ، بل حياة العظة . فانه لا يزال يعتبر وجوده . ويقدر الاشياء التي حوله ، ويسكر من خمر الطبيعة ، حتى ترشقه هذه بسهم العشق ، فيعشقها . يعشق الطبيعة ، وتأسره مناظرها الجمة ، ويطربه جمالها ، وهكذا تؤثر فيه فيشغف بالفنون الجميلة ، وتزيد حبها عنده ، فيذهب بقسط وافر فيها . واما يلزم فنًّا واحد منها ، أو يسعده الحظ فينبغ فيها جميعها ، وبتولد فيه عشق الجمال فيرق خلقه . ويزداد لطفاً ، ووداعة .

وان مال الي التصوير كان هادئاً رقيقاً رزيناً كبير العقل كله ذكاء وفطنة

- ٥ -

الجمال

خلقت الجمال انا فتنة   وقلت لنا ياعبادى اتقون
وانت جميل تحب الجمال   فما لعبادك لايعشقون

قال ذلك شاعر عربي ،قد رشقه الجمال بسهامه النافذة، فتملك وجدانه وشعوره، واثار مداركه وحسه، فلم يعد يتملك زمام عواطفه ففاه بهذين البيتين،فانطبق عليه بذالك هذا المعنى الجمال عاطفة سامية بدرك معناها من نفذت فى قلبه سهامها

إنى احب الجمال ، جمال الطبيعة ، وهو سر تقدمى ونبوغي ، أنا احبه كل الحب ، واعشقه تمام العشق ، هو كل رونق الحياة، وحسن هذا الوجود. ولا قيمة للحياة بغيره

هو امنية العاشق ، وأمل المحب ، وهدف المصور ، هو تلك العاطفة الشريفة ، وذالك الشعور الحي ، أشعر به فى قلبي ويشعر به كل إنسان . هو كل ماارجوه فى الحياة

هو قوتى وغذائى ،اتلذذ به واتمتع بمطالعة اسراره، واستقراء خباياه

هو أشعة الطبيعة تنبعث على القلوب فتجذبها وتأسره

جمال الصور خمرة يثمل منها كل الناس ، وكلنا سكارى من كأس الجمال

الصورة الجميلة تؤثر فى النفس، وتثير الوجدان والشعور وتشعل نار العواطف



(صورة الاختين من عمل المصور « ريط » الانكليزي)

وانى اقول عن تأثيرها فى المسلمين . أن البازوري
سيد الوزراء الحسن بن على بن عبد الرحمن[1] كان احب ما
إليه كتاب مصوَّر أو النظر الي صورة أو تزويق
لا أن ذلك خبراً عن الجمال، فهو الذى قضي على روفائيل[2]

---

(١) هو سيد الوزراء ، تاج الأصفياء، قاضى القضاة ، وداعى الدعاة ، علم المجد ، خالصة أمير المؤمنين ، أبو محمد الحسن ابن على بن عبد الرحمن البازوري . نسبة الي بازور قرية من عمل الرملة . ولي وزارة المستنصر بالله الفاطمى فى القرن الخامس الهجرى

(٢) روفائيل سانزيو بن جيوفانى سانزيو المصور . ولد سنة ١٤٨٣ ومات سنة ١٥٢٠ . هو ابو المصورين وكبيرهم ، رسخت فيه ملكة التصوير منذ طفوليته ، وكشفت له الطبيعة عن أسرارها ، فاستفاض فى وصف الشعائر والعواطف وأوتى من الحظ في التصوير مالم يؤته أحد لاقبل ولا بعد . له من أعمال يديه ما لا تحصيه المجلدات الكثيرة . ولد فى اربينو من أعمال ايطاليا . ورشق في سنة ١٥١٦ م بسهم الحب الذي صوره مراراً . فانه عشق ابنة رآها يوما في بستان والدها . تغسل قدميها من ينبوع هناك . وهى ابنة خباز ايطالي تعلق بحبها .

وعـذب دافينسي (١) واخذ بلب العالم . غير انه أنهض به ورقاه

وكان يسميها (الخبازة الصغـيرة) ولازال شغوفا بها حتى مات في سن السابعة والثلاثـين . ولا يزال مشاهدا الى الآن ومحترما أثر الشباك التي كانت تطل منه على روفائيل

(١) هو احد مصوري فلورنسا بايطاليا . ولد سنة ١٤٥٢ وتوفى سنـة ١٥١٩ . برع في فن التصوير حتى طبعت شهـرته في عهده كل أنحاء ايطاليا وذاع صيته حتي تقاطر عليه ودارسو فن التصوير من كل صوب . ومنهم روفائيل الذى اكتسب من (ليوناردودافينسى) تمثيل الجمال والعواطف فى الصور ، وانتقاء جميل الملامح . ماساعد روفائيل على الظهور والتفوق

-٦-

الميول وعشق الجمال

اذا أثر شيء على الانسان فاحبه وهام بجماله ، مال اليه وشغف به وعشقه . وان تمكن حبه ونما ، برع فيه ونبغ. فيكون كعبة يحج اليها من رشقه الجمال بسهمه فأسره .

على الميول يبنى الامل. كل هذه الصور المختلفة ،ومناظر الطبيعة الجميلة ، لاتبرح ان تؤثر على مدارك الانسان وتملك وجدانه . وتأخذ بمجامع حسه وقلبه . فتشعل فى نفسه نار الحب والعشق . فيرق شعوره ويبرع فى الفنون الجميلة ، ولا يزال فى اجتهاده وتقدمه ،حتى يضم طرفى الصناعة

يطمح نحو الجمال ، ومتى وقف على سره : وعرف حقيقته ، مهدله السبيل الي حياة أرقى فى سمو الشعور ، ورقيق العواطف.

ان الطبيعة وضعت فى كل فرد من ابنائها قواعد بناء ، وبثت في روحه ميولا وأملا — لوأنه شاد عليها ارتقي

وعلا — ومتى تكونت ميول الانسان واتجهت نحو غرض فلا خوف على نبوغه

ولا ننسى أن روفائيل ، حينما بعث به خاله الي مصنع بيروجيو (وهو فى مقدمة المصورين لذلك العهد) ليلازمه ويتلقى الفن عليه. فلما شاهده ذلك المصور العظيم ، ورأى بعض رسومه الابتدائية ، لم يتمالك نفسه . بل صاح قائلا: (ليكن تلميذا لي الآن — فعن قريب يصبح أستاذي)

- ٧ -

التصوير

اذا ذكرت كلمة «الفنون الجميلة» فانما تقصد أبوابها العدة، ومقاصدها المختلفة

فالتصوير ، والموسيقي ، والتمثيل، والنحت، والعمارة والرسم،والشعر ، والخط .كل ذلك فنون جميلة

انما من أرقي هذه الفنون وأثمنها التصوير.

صورة بسيطة تجذب القلوب وتسكرها بخمر الجمال والحسن

ضياع صورة واحدة من تلك المتاحف المتفرقة يقيم الامم ويقعدها ، ويثير نار الشقاق بين الدول

ورقة تسيل عليها ألوان بلا تكلف ، فيتكون منها منظر يسر العين . تصبح لتلك الورقة البسيطة قيمة وثمن

وهاك نموذجاً بالوان« الباستيل » من عمل المصور « بطرس بردهن » سنة ١٧٩٦ ميلادية يمثل الامبراطورة « جوزفين » زوجة الامبراطور « نابليون »



التصوير هو الحياة باجلي معانيها

حياة المصور عظيمة راقية — في السكون والطمأنينة وفي العز والسعادة

ارتقب الشمس فقط، من حين شروقها، فانها لا تزال تترك وراءها في السماء مئات المناظر الجميلة حتى تحتجب تأراء الافق، وينتهي ذلك البهاء

وسر القلوب بمناظرها الشيقة، وهي لا تزال تسحرها كل يوم

هذه هي الحياة

ذلك تصوير الله على قرطاس السماء • هذا التصوير هو الطبيعة — ومن الطبيعة استمد المصورون روحهم العالية

تؤثر الطبيعة على الانسان فلا يفتأ يحب الجمال فان تمكن منه ذلك الحب كان مصورا

التصوير عواطف رقيقة

ومن تكشف له الطبيعة عن أسرارها وتغذيه بعواطفها ، وتبث فيه روحها — فهو أكبر المصورين

-٨-

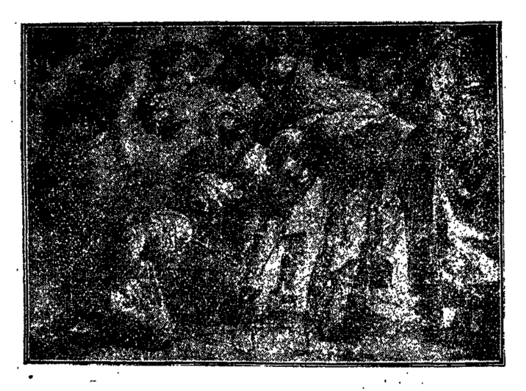
العلم والفن

الفن بلا علم لا قيمة له ، ولولا العلم لما كان الفن

يلزم المصور الفنى أن يختلط بأهل العلم والأدب، وأن يطالع الشعر والكتب ، ويكثر من مطالعة التاريخ ، إذ أن مايدور فى مجالس العلماء من الابحاث العلمية والادبية والشعرية ، وما يصفونه من حميد الصفات، ويتغنون به من جميل المحامد ، له تأثير كبير في عقل المصور ونفسه. فانه يستند على ابحاثهم ، وافكارهم المختلفة ، فيما يبرزه للعالم من آثار يديه ، وبديع صنعته

وقد صور روفائيل صورة عظيمة إسمها (مدرسة اثينا) جمع فيها علماء اليونان جميعا من العهد القديم. وهذه الصورة تمثل نحو اثنين وخمسين من الفلاسفة القدماء ، يحيط بهم أتباعهم وتلامذتهم، فى قاعة عظيمة حسنة الشكل والهندام ،

وقد وضع المصور ، افلاطون ، وارسطاطاليس ، في مقدمة الجمع . ورتب بقية الفلاسفة على نسق يستدل منه على كيفية تقدم الفلسفة عند قوم اليونان



(القسم الجنوبي من صورة مدرسة أثينا من عمـل روفائيل)

وان هذه الصورة من أكبر الاعمال المدهشة وهى برهان عظيم ، على المقدرة والقوة وكثرة الاطلاع وقد ادهشت العالم كله في ذلك الحين ، ولا تزال الى الآن موضع الاعجاب

وواضح أن روفائيل، فى هذا الشأن، استند إلى كثير
من الكتب فى عمله هذا

بصورة واحدة ، يسحر المصور العالم بأسره ويدهشه .
وهو قدوة الرجال فى عظيم الاعمال ، وسمو المدارك ، ونقاء
الافكار — وهو مثال الشعور والعواطف .

- ٩ -

قيمة التصوير (١)

صوّر روفائيل الشهير ، كبير المصورين ، صورة للعذراء ، فاشترتها الحكومة الانجليزية بمبلغ ٧٠ الف من الجنيهات . ثم لم يمض على شرائها عهد طويل ، حتى قيل أن ثمنها بلغ ١١٥ الفا . ويقال انها تساوي الآن ضعفي هذا المبلغ

وصور المصور « ليونا ردودافينسي » صورة « فرنسيس الاول » ملك فرنسا عام ١٥١٤ . ثم ضاعت هذه الصورة بعد ذلك ، ولم يقفوا لها على أثر . وظلت ضائعة من ذلك الحين الى احدى عشرة سنة مضت ، إذ وجدوها فى برج قديم . فتكون مدة اختفائها — أربعة قرون — وهم يبحثون عنها

والغربيون يحترمون طلاب مدارس الفنون الجميلة احتراما زائدا ، لان عليهم رقي البلاد وتقدمها

---

(١) كلمة للمؤلف ظهرت فى جريدة النسر المصرى

واني أقول : ان «روفائيل» عند مامات ، عُرضت جثته في بيته بضعة أيام ، ووضع بجانبها صورة (التجلى) وهى آخر ماصوره . وكان الناس يدخلون أفواجاً لتوديع ذلك الرجل العامل الكبير . وقد كتب على قبره باللاتينية بيت من الشعر ، مؤداه :

« كانت الطبيعة تخشى فى حياته أن يفوقها ، وهى تخشى الآن بموته أن تموت »

وظلوا يقدمون قداساً سنويا عن نفس المتوفى ، نحواً من ١٥٨ سنة

هذه غاية تكريم رجال الفن

« وليوناردو » المذكور ، رسم صورة (الچيوكوندا) الجميلة ، وهى لا تمثل حادثا تاريخيا ، بل امرأة ميلانية تدعى (موناليزا) عاشت فى القرن الخامس عشر الميلادي ، وكانت زوجة لرجل فلورنتيني يدعي « فرنسسكو دل چيوكوندا » كان صديقا حميما لليوناردو فى هذا العهد ،



صورة الجيوكوندا

من عمل المصور الايطالى الشهير ليوناردو دافنشى

وبجلال الفن فى الصورة، وابتسامتها الطبيعية ، واتقان تصويرها ، وجمالها — علا قدرها ، فحفظت فى مدينة ميلان ، الي أن افتتحها نابليون . فى أوائل القرن الماضى . فاخذ منها كثيرا من التحف النفيسة، بينها هذه الصورة التى حفظت فى متحف «اللوفر» ثم سرقت يوم ١١ أغسطس سنة ١٩١١ فاشغلت العالم كله ولكنها رؤيت فى شهر دبسمبر سنة ١٩١٣ فى حانوت تاجر إيطالي صغير فى بلدة ميلان ، تعرض للمبيع بأبخس الأثمان ، فضبطت وقد كانت عودتها حادثا تاريخيا بين فرنسا وإيطاليا وسلمت الى السفير الفرنسى بروما، فى حفلة حضرها الوزراء وتليت فيها الخطب السياسية ، كما عرضت في المتحف الأيطالى بضعة أيام (ليشاهدها الشعب هناك حتى لايحرم من بديع الفنون)

فاجتمعت الجماهير من كل مكان ، بحيث قدروا أن عدد المشاهدين ، كان يتراوح يوميا بين عشرين وثلاثين الف نفس

— ١٠ —

المصور

المصور دولة فن وخيال. مملكة عظيمه، ملكها الذكاء، وأساس ملكها الشعور

المصور وهو رجل واحد، يمثل العالم بأسره

المصور كلمة كبيرة المعنى، جليلة الشأن، ذات جلال ووقار

روح هذا الكون هو المصور — يوحي اليه ضميره الخيال العالي، فتزدحم بفكره خواطر العالم، فيخطها على قرطاسه ويبرزها لنا فى قالب شيق، هو الفن والجمال.

وكأنما تصوير أفراد العالم يعكسه علينا ذلك المصور، في صورة واحدة

قد أفشت له الطبيعة أسرارها، وكشفت له عنها، فجمع جمالها ومحاسنها فى شخصه، فهو رسول الطبيعة للناس

المصور بحر فياض لا ساحل له — قامه يكفيه كل شيء،

والخيال حاضر معه فيصور به مايشاء ، فتنتهى الصورة وكأنها عروس حسناء ، تزدهى بجمالها ، وتتيه به تيها. وإن طلبت كان مهرها مئات الجنيهات أو أكثر

هذه هى الحياة السعيدة

اذا رأيت صورة جميلة لا تلبث أن تذكر الله . وقد أثر فيك تصوير ذلك الرجل ،وسحر نظرك ، فزادك إيمانا بربك — ولعمرى لقد يصطفيه الله من عباده ، فهو أصدق منهم فى ذلك الايمان . وهو أقرب الى الله من غيره ، ففى كل آونة لنظراته البعيدة فى مخلوقات الله وإيمانه بها ، يقدس الخالق . ويشهد بقدرته وابداعه — وفى المصور كل شىء جميل .

- ١١ -

أخلاق المصور

لو تفرست فى أحد المصورين ، لشهدت فيه ذلك اللطف
الذى ينبعث نوره عن طبيعة سامية
تشاهد فيه الاحساس الشريف ، ورقيق العواطف
والمدارك والشعور
تشاهد فيه الاخلاق العظيمة ، والنبل ، والوداعة ،
والوقار ، والهيبة
له جلال عظيم ، فضلا عن هدوئه وسكونه
تشاهد فيه علو النفس ، والآباء ، والشمم ، والعفاف
تبدو فيه تلك المواهب السامية ، وكرم الاخلاق
والفضائل الراقية
وهو حساس لين العريكة ، رزين عاقل ، ومفكر كبير
وانك لتؤانس كذلك فى صوره ، جمل العواطف

ممثلا بأجلي مظاهره — ومن عشق الفنون الجميلة وهام بها. فقد اكتفى بها واستغنى

وغاية القول: أن المصور هو ذلك الرجل العظيم، الذى اذا عزم على شيء، دان له وسهل صعابه — لا يترك مذهباً إلا ذهبه، ولا طريقا الا سلك فيه

ولقد طلب من روفائيل، ان يصور صورة لكنيسة (القديسة سيسيليا) محامية الموسيقى — ولم يكن قبل اشتغل بالرؤوس والاحكام — ولكن قوة مداركه، وافكاره العالية، كشفت له ذلك. فابدع فى تمثيل القديسة المشار اليها، وهي حاملة أرغنها بدون انتباه، تصيخ سمعا لأناشيد جوق من الملائكة، يترنمون بانغام لم يسمعها بشر. وحول هذه القديسة وقف (القديس بولس) مستندا الى سيفه، يمثل الحكمة والعلم، (والقديس يوحنا) يمثل المحبة. وغيرهما. ولدى إكمالها، بعث بها روفائيل الى فرنسا في بولونا، لكي يصلح فيها مايرونه فى حاجة الاصلاح. فلما وقف عليها،

أهل المدينة ،دهشوا لجمالها ، وعدوها فى جملة الكنوز ،
فاحلوّها محلا رفيعا عندهم وما زالت فى مدينتهم الى
الآن



(صورة القديسة سيسليا من عمل روفائيل)

-١٢-

الولوع بالفنون الجميلة

حب الفنون الجميلة عريزة فى كل انسان فلو اعتنى بها وعشقها، فقد أحرز قصب السبق فى الحياة، وحاز كل التقدم ونهض وارتقي. وان تركها وأهملها فقد تخلى عن كل شيء جميل.

لا حياة بغير فن جميل، ولا علم الا ما يعززه الفن

الفن هو الذوق السليم، ودعامة الذكاء والعقل

تولد الفنون الجميلة فى الانسان روح التقدم وحب العلا والرقي. فهو لايزال يعتبر وجوده ويقدر نفسه، حتى ينفع بلده من كل وجهة، ويكون عاملا أساسيا في نهضتها وقيامها وهو الكل فى الكل

قف بين جدران المتحف المصرى ساعه، وانظر عظمة المصريين ومجدهم، هل خطت ذلك البهاء الا أيدى المصورين والنقاشين ؟

هذه الوانهم وصورهم ورسومهم ،شاهدة بمجد مصر، أيام كان حظ المصريين وافر فى الفنون الجميلة

يخيل أمامك بصورة واضحة ، جماعة الرجال العظام ، الذين رأتهم مصر ، وعرفهم وادي النيل

ولا تزال تحير العالم وتبهره ، تلك الصور المختلفة ، والألوان العجيبة ، والنقوش الجميلة ، ومقدرة المصورين العظماء الكبار

هذه حضارتهم ، وهذه أعمالهم ، تنطق لهم بالمجد والفخار وإن ذاك المتحف المصري ، لهيكل مخصص، ليمثل كل مدنية مصر بكل أنواع العظمة والجبروت

وسيفنى العالم كله، ومجد مصر في هذا المتحف سيبقى الى الابد

ولا يفوتك ما أجمع عليه المؤرخون من ان المصريين القدماء ، قدشيدوا صرح المدنية الذي لا يبلى ، بأعمالهم ، واختراعاتهم ، وآثارهم الباقية

-١٣-

التصوير والخيال

التصوير وحي وخيال

العقل والخيال .هما عمادا التصوير . وهما يتنازعان المرء من المهد الي اللحد . يخضع لسلطان الواحد تارة ، ولحكم الآخر اخرى ، ويجمع بين الاثنين أو يفرق بينهما ، أو يغلب أحدهما على الآخر — غير أن الخيال كان الحاكم المطلق من حين درج الانسان علي وجه البسيطة ، ولم يزل نافذ الكلمة فى جميع الشؤون

يسبح المصور فى بحار الخيال ،فيصور مداركه وشعوره انما الصور البديعة الجميلة ، والمواهب السامية . والافكار العظيمة — بفضل الخيال ، والعواطف

الخيال هو عبقرية المصور والشاعر

ولو علم المرء ، انه بيعت صورة العذراء وعلى يديها السيد المسيح عليهما السلام من تصوير المصور الشهير « روفائيل سانزيو » بمبلغ ١٤٠٠٠٠ جنيه — وأن صورة

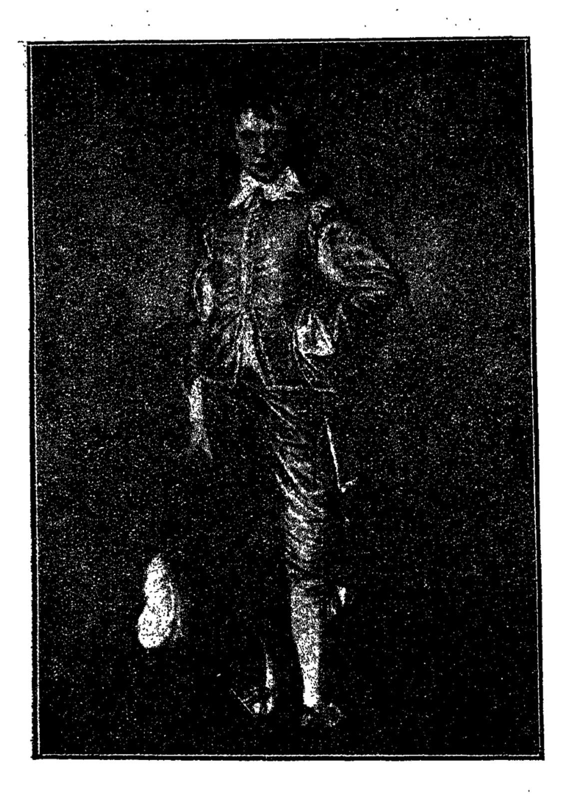


(صورة العذراء وعلى يديها) (السيد المسيح عليهما السلام)

الغلام ذى البذلة الزرقاء ، من تصوير المصور الانكليزى « غينزبورو [1] » بيعت اخيرا في لندن بمبلغ ١٥٧٠٠٠ جنيه —

---

(١) أحد كبار المصورين فى القرن الثامن عشر كان فى أول امره بائع أقمشة . وظهر نبوغه الفني لما كان عمره ١٤ سنة . له من أعمال يديه الكثير الذى يشهد بعظيم مقدرته وتفوقه وقد تكفى صورة الغلام المذكور هنا دليلا على مهارته . فهو أول من سبق المصورين فى فكرة عملها باللون الازرق



(صورة الغلام ذى البذلة الزرقاء)

من عمل المصور الأنجليزي غينزبورو بيعت في لندن بمبلغ

١٥٧٠٠٠ جنيها



﴿ صورة رؤوس ثلاثة عبيد ﴾
من صنع المصور واطو — بيعت بمبلغ
٣٢٠٠ جنيها



﴿ بحث Study بالفحم ﴾

من عمل المصور الكبير رمبراند الهولندي - بيعت بمبلغ ٧٥٠ جنيهاً

وأن بعض الامريكان اشتروا صوراً «لرمبرناند» و« هالس » المصورين ، وغيرهما بمبالغ وصلت ١٠٠٠٠٠ جنيه — وأن الصورة الواحدة من تصوير « روفائيل » ايضاً بيعت بمبلغ ٧٠٠٠٠ جنيه



(صورة السستاية الجميلة من عمل روفائيل)

وأن صوراً كثيرة من قلم غيره . بيعت الصورة منها بمبلغ

٢٠٠٠٠ جنيه أو اكثر — وأن معارض الصور الكبيرة تجمع هذه الكنوز النفيسة وتنفق على حفظها المبالغ الطائلة ثم ان الصور الكبيرة لاتعرض للمبيع . ولو عرضت لبيعت بأثمان تدهش العقول

وأن معارض اوربا ومتاحفها، وقصور ملوكها، ودور اغنيائها ، تحسب الصور حليا لاغنى عنه ،وزينة لايزدان بغيرها

لو علم ذلك كله، لدهش ولتحقق ان سلطان الخيال، هو صاحب الفضل في عمل تلك الصور المدهشة ، وهو كل أمنية المصور ومنتهى عظمة الفن. يوحى من ضميره الى قلمه.

ثم أن مايجول فى مخيلة المصور فيرسمه على القرطاس ، يصبح اثمن من جواهر الارض

-١٤-

مكانة المصور في العالم

المصور، تحترمه جميع الناس من جميع الطبقات. محترم من أبد الاعمار والدهور، ولا يزال احترامه فى دول الفن قبل كل شيء

وان الملك العظيم المصري « رعمسيس الثاني » كان يحترم المصور والنقاش احترامه لاعظم قواده

فان المصور هو الذى شيد مجد الملوك قبله، وسجله على الاثار الكثيرة، وهو الذي نقش اسماءهم الباقية الى الابد فهو رجل عظيم الشأن، جدير بالاحترام والوقار

لولاه ما علمنا عن آبائنا وأجدادنا أحوالهم وحضارتهم هو الذى نقش عظمة الماضي قديماً، فبقيت لنا قدوة ومثالا، وعلمتنا الوطنية والاقدام

هو نبل الامة، فان مات ولم يظهر أعماله، ولم يبرز

مجد الامة في صورة ، فقد ذهبت ، وفنيت ، ولم نعلم عنها شيئا . ولم نر من آثارها الا بقايا البنيان، اطلالاً لا فائدة منها ولا رونق فيها ، ولا قيمة لها - هو رجل الدنيا. وبه المجد الاعظم

احترمته كل الامم ، وزاد احترامه عند العرب في الاسلام ومجدوه، فقد خلد عظمة امرائهم وخلفائهم، بنقوشه وتزاويقه وزراكشه ، فى المساجد والعمارات

وان الاثر الصغير الباقي من تصوير القدماء ، يقدر الان بآلاف الجنيهات

وتتفاخر الدول بما تجمعه من الاثار القديمة ، منحوتة أو مصورة . وان المتاحف المتفرقة ، هي زينة العالم وفخر المتقدمين، والاستاذ العظيم لاى مجد يخلف عظمة الاوائل . وان من يملك صورة بسيطة من عمل « روفائيل » أو « ميخائيل انجيلو [1] » أو غيرهما ، يعتبر نفسه اسعد السعداء .

---

(١) هو المصور الايطالي العظيم والمهندس والنحات والنقاش والرسام « ميخائيل انجيلو » صاحب الصور و التماثيل الخالدة فى اوروبا، والمشار اليه بالبنان فى اتقان الفن. ولد سنة ١٤٧٥ و توفى سنة ١٥٦٤م

مكانةالمصور فى العالم كبيرة عالية ،وأقول :

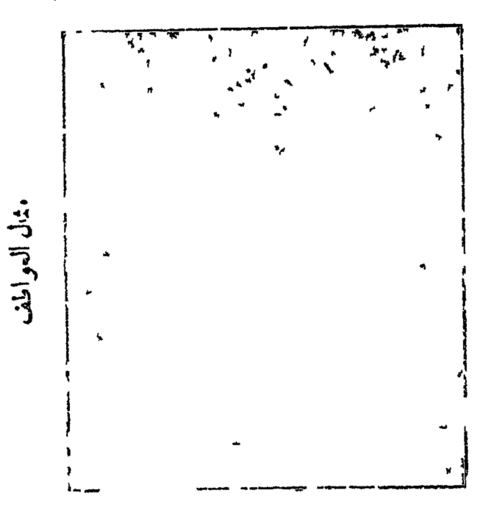
أن في مدينه فلورنسا (فيرنزة) متنزه على مرتفع ، بأعلاه ميدان فسيح يشرف على جميع أطراف المدينة سماه الايطاليون (ميدان ميخائيل أنجيلو) وتمثاله قائم فى وسطه ، تكريما لذلك الرجل العظيم

وان «روفائيل » دفن فى مدينة رومه ، بمعبدالبانتيون المعد لدفن الملوك ، وبجانبه « فكتور أمانويل » مؤسس الوحدة الايطالية

- ١٥ -

قوة المصور في صوره المؤثرة

يصور المصور، الصورة المتفننة المؤثرة، ويبث فيها قوته ومقدرته وتفننه . فاذا نظر اليها كل ذي ادراك واحساس أثرت فيه، وجذبت نظره . ويسكر لبه ويذهله، ما أودعه فيها مصورها من الروح والطراوة، وما جملها به من عظيم الاتقان والتفنن. له في وضعها وتنميقها ذوق سليم



(من عمل المصور الانكليزي السير جوشوا رينولد)

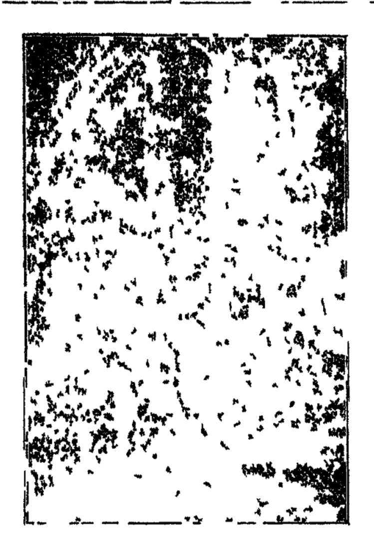
مثال العواطف

اذا اراد فيها مصورها قوة التأثير ، فقد يهتز لهيبتها وروعتها كل من نظر اليها ، وتؤثر في كل مخلوق مدرك. فهى مثال المقدرة والارادة والشعور

و انى اذكر لهذه المناسبة ان « روفائيل » صور صورة حريق في احدى شوارع رومة ، والناس يفرون منها وجلين خائفين ، تلوح على وجوههم علامات الخوف والفزع (والبابا يطل من الغرفة الموجودة فوق باب كنيسة مارى بطرس ، ويشير الي الشعب بأصبعه)

وكأن النار ترى تلتهب وتزيد استعاراً وهي تأكل ما قابلها بلا شفقة ولا رحمة والناظر الى الصورة ليشعر ويرتاع من هول ذلك المنظر المفزع ، وتكاد الصورة تتحرك كأنها حقيقة تمثل امام ناظريه

وسيرى الناظر . صورة من رخام ، تمثل احد قسس (باكوس) اله الخمر عند الاقدمين . وبجانبيه ولداه ويحيط بجسمهم ثعبان يريد قتلهم بأمر ذلك المعبود ، جزاء



(الجانب الايسر من صورة مثال من التصوير الأثيري)
(حريق مدينة « برج » من عمل روفائيل)

اهانة صدرت في حقه من ذلك القسيس — فيرى الانسان في الصورة الذعر والخوف بادين على وجوههم، ويشاهد انتفاخ أوداجهم وعضلات أذرعهم، وهم يعالجون التخلص من الخطر المحدق بهم

وان روفائيل ايضا : صور صورة تعرف (بالدفن) أو (الجثة عند القبر) جمع فيها بين العواطف والحاسات ظاهرة في وجوه الاشخاص ، والحزن الذى ملأ افئدتهم باديا في عيونهم ، مما لم يسبق اليه نظير ، ولم يقلده فيه مقلد. حتى قيل عنها ـــ انها مملوءة بنار ملتهبة



صورة الدفن من عمل روفائيل

– ١٦ –

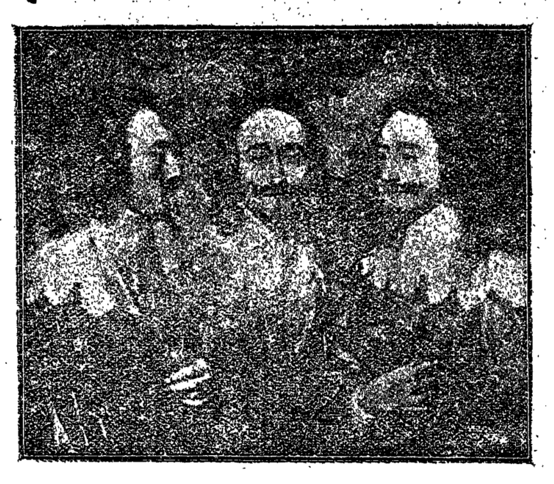
البراعة والتفوق

ان قلت ان هذا المصور بارع فانى اريد انه اذا رسم الصورة يتفنن فى وضعها وتركيبها ، ويحكم صنعتها وعمليتها ويتقنها تمام الاتقان



(في الهواء الطلق صورة زيتية من عمل المصور «رومني» سنة ١٧٧٢م)

أريد انه الذى يصور فتتهافت الناس على صوره وتتسابق الى اقتنائها . أريد ذلك الرجل الرقيق يجعل صوره طريئة مقبولة . أريد ذلك الذى يتجنب في صوره الجفاء، فتظهر على جانب عظيم من الرونق والحسن . بل أريد المصور يبث فى صوره روحه اللطيفة ، ويودعها شعوره وعواطفه . وهو الذي أتقن الفن ومارسه كثيراً، ونبغ فيه



صورة « شارل الاول ملك انجلترا » فى ثلاث مواقف
من عمل المصور المشهور الاستاذ چان ڤان ديك

قوى فى حرفته متمكن منها ، ولذلك استحق أن يقال عنه : انه مصور بارع رقيق الروح ، سريع التصوير ،

وان امكنه التصوير فى أى مكان ، وحسب ما يريد. كل [illegible] ، وكل ما يرى حوله ، بالسرعة والاتقان يصوره حـ[illegible] ن كل من ينظر اليه كأنه يشاهده تماما — وآلته فى جيبه ـ دفتره وقلمه — يغنيانه عن آلة الفوتوغراف بقوة ذاكرته وسرعته . وان امكنه أن يصور ما يعجز غيره من زملائه. فهو مثال التفوق

وقد يسرنى أن اذكر مباراة بين مصورين شرقيين في هـذا الموضوع ، حتى نؤيد فخر الشرق وتفوقه

جاء في المقريزى جزء ٢ ص ٣١٨

« أحضر البازوري سيد الوزراء الحسن بن على بن عبد الرحمن بمجلسه «القصير وابن عزيز» وهما من فحول مصورى الشرق ، وحرض بينهما وأغرى بعضهما على بعض ، فقال ابن « عزيز » أنا أصور صورة اذا رآها الناظر ظن أنها خارجة من الحائط .فقال« القصير »ولكن

انا اصورها فاذا نظرها الناظر ظن أنها داخلة في الحائط . فقال الحاضرون هذا اعجب . فأمرهما البازورى أن يصنعا ماوعدابه. فصورا صورة راقصتين فى صورة حنيتين مدهونتين متقابلتين، هذه ترى كأنها داخلة فى الحائط، وتلك ترى كأنها خارجة من الحائط. فصور «القصير» راقصة بثياب بيض ، في صورة حنية دهنها اسود كأنها داخلة فى صورة الحنية. وصور «ابن عزيز» راقصة فى ثياب حمر فى صورة حنية صفراء كأنها بارزة من الحنية، فاستحسن البازوري ذلك، وخلع عليهما ، ووهبهما كثيراً من الذهب »

-١٧-
النقد في الصور

الصور قابلة للنقد ، فيجب احكام صنعتها ،وعملها حتى لا يدع مصورها باباً لنقدها .

اذا صور المصور صورة ، يجب أن يفكر في صحيح رمزها ، ويتروى في وضعها ، ويبدأ عمله متحذرا خطأ يوجب انتقادها . بشتغلها بكل اعتناء ، حتى تظهر فوق انتقاد الناقدين ، وتنتهي برونقها وحسنها

واني اذكر في هذا الباب بعض ماانتقدت به صور المصورين

فقد قيل عن « ابلس » مصور الاسكندر أنه كان يعرض صوره ويقف وراءها مختبئاً ليسمع مايقوله الناس في انتقادها ، فيصلحها . وقد اتفق ان اسكافيا مر بصورة فارس ، كان قد عرضها « ابلس » ، فانتقد شكل الحذاء

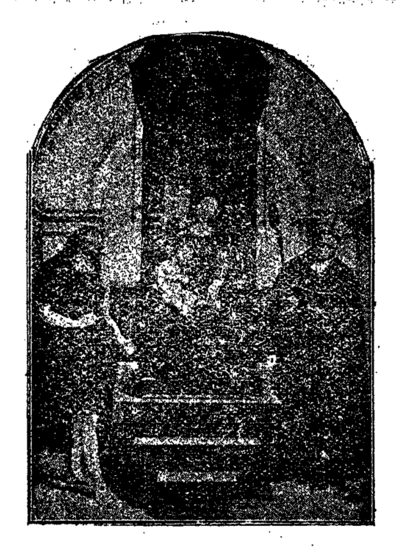
لاختصاصه بصناعته . فلماذهب، خرج « ابلس » من مخبئه وأصلح الحذاء كما أشار الاسكاف .

ولما مر الاسكاف في اليوم الثانى، ورأى الحذاء . مصلحا حمله الغرور على انتقاد شكل الساق ، وهذا لا يعرف من صناعتــه ، فخرج اليه « ابلس » وقال : ابق في الحــذاء : فذهبت مثلا

ويعرف عن الشرق، من صور سنبلة قمح يقف عليها عصفور بدون أن تميل السنبلة

وأن المصور «چاك داويد » صور صورة حصان يخرج الزبد من فيه ، فمر به سائس خيل فانتقد الصورة قائلا : ان الحصان لا يزبد الا اذا كان هائجا ، ولم يكن الحصان فى الصورة كذلك

وان أحد المصورين . صور منظراً متقنا ، وعرضه فى (فترينته) ، ازدحمت الناس لمشاهدة جمال الطبيعة، لدى تجليها فى الصورة فاخرة ، وخرج المصور بين الناس ليسمع أقوالهم فيها ،



(صورة العذراء من عمل روفائيل)

وكان بين المشاهدين ولد صغير رأى عيبا فى الصورة ، فجذب ذراع رجل أمامه ليخبره عنه (ولم يكن ذلك الرجل الا المصور)فانحنى الرجل الى الولد ليسمع منه ماسيقوله · فقال الولد : الا ترى ياعزيزي ان المصور قد أخطأ فى هذه الصورة . ولما سأله لماذا ؟ قال له

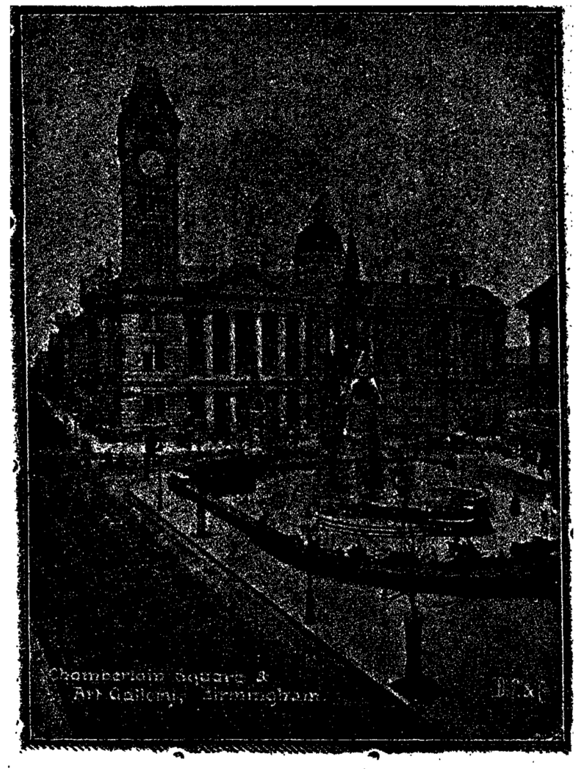
«انه صور الشمس وقت الشروق وقد صور المواشى وجوهها الينا وذلك خطأ لانها فى الصباح تذهب الى الحقل لا الى المنزل . فانه رسم الحقل في آخر الصورة ، فلو انه حول وجوه المواشى اليه أو رسم الشمس وقت الغروب لصحت الصورة »

١٨
متاحف الصور

لا تكاد تخلو أمة من أمم الفن من متحف تجمع فيه تحف التصوير والنحت، وطرف الصناعة، ومعجزات الفن. فيكون زينة مدنيتها، وشاهد نهضتها وارتقائها، وتعلى به اسمها بين دول الفن والصناعة

أن المتاحف كثيرة عدة، في كل أمة مشتغلة بالفنون الجميلة، وقد ملئت هذه المتاحف بما يحير الالباب ويتيه العقول. أن تعمدت وصف ما فيها لاحتاج بحثي الى مجلدات، وان أردت أن أحصي متاحف العالم قديما وحديثا عجز عن ذلك قلمي وعيت ذاكرتي، ولا يمكنني الا أن أقول انها منتشرة في كل أمة ثملت من خمر الفنون الجميلة

المتحف دار عمومية تجمع فيها الاعمال الفنية والآثار، وكل مجهودات الفنيين



هذا مثال لمعارض الفنون بأوربا (بمدينة برمنجهام بانجلترا)
فلعلنا نعرف كيف نعتنى بتلك الفنون الجميلة

تاريخ المتاحف قديم . فقد كانت معابد المصريين القدماء وهياكلهم متاحف كبيرة جمعت أنواع الفنون ،

ودار الليسيوم اليونانيـة متحف للصور والمعبودات والتماثيل والطرف، قبل الميلاد باربع قرون أو أكثر

وأما متاحف الفنون الجميـلة عند العرب ، فهي دور أمرائهم وقصور خلفائهم الفخيمة

وتتباهى الامم بانشـاء المتاحـف ، وتنفق على ذلك الاموال الطائلة لتبرهن على أذواقها السليمة . تودع فيها صور مشاهير المصورين، وأعمال أكابر النحاتين ، وصنائع النقاشين والرسامين ، وبدائع الفنون الجميلة

ان المتاحف مدارس جامعة يقصدها عشاق الجمال

وأكبر هذه المتاحف قصر الفاتيـكان ، وهو أكبر قصور العالم كما أنه أولها ، بالنسبة لـكـثرة ماجمع فيه من الرسوم والنقوش والتماثيل. اشتغلت في تشييده أيدى أمهر المصورين والنقاشين . ومجموعه الفاتيـكان أغنى وأجمل مجموعة فى العالم

وانا الفخر بأن نعلم وجود قسم من ذلك العصر العظيم حصص لما نقلته امبراطرة الروم والملوك من الآثار المصرية. وان كثيراً من المسلات وأحواض الجرانيت والاعمدة وغيرها من آثار أجدادنا المصريين ، تزين ميادين رومة ومملكة ايطاليا ذاتها

وفى مدينة فلورنسا المتحف الملحق بسراى پتى الملوكية ، والمتحف المسمى باكادمية الفنون الجميلة ، ومتحف أوفيس

وبفرنسا متحف اللوفر العظيم فى باريس

وانى لأشعر بانشراح عظيم وسرور ، لأن المصريين ابتدأوا بأنشاء متاحف للفنون في بلاد القطر ،

وتلك المتاحف أكبر نهضة فى تاريخ الفنون الجميلة فى هذه الديار . أخص بالذكر منها معرض الربيع ، ومعرض القاهرة ، ومعرض وزارة المعارف العمومية ، — وبمدرسة الفنوق الجميلة معرض اشغال الطلبة ، يريك الجمال والعظمة في الاعمال الفنية والشعور الحي .

- ١٩ -

التصوير قبل التاريخ

إن أكبر دليل وأسطع برهان على قيمة التصوير، أنه وجد قبل التاريخ بأجيال سحيقة في معظم الأمم القديمة. وقد عرف في مصر، والصين، والهند، وفارس، واشور، وفينيقية. الا أنه ظهر في مصر بحال الطبيعة، وقد استنبطه أهلها القدماء من أول ظهورهم التدريجي كما سنبينه بعد

قد اشتغلت به الأمم السالفة الذكر. ولكنه لا يعرف للآن تاريخ ابتدائه بكل منها

ويقول صاحب دائرة المعارف «ليس من الممكن تعيين زمن مخصوص لبداية هذه الصناعة»

وقد دخل في كل أمة وعرفه كل القدماء واشتغلوا به. قال الفليسوف هيدون «انه يصعب على المحققين معرفة البلاد التي نشأ فيها التصوير. بقدر مايصعب عليهم وجود بلاد لم يدخلها»

وإن آثار المنحوتات والنقوش الصينية القديمة ، لدليل على طول باع الصينيين فى التصوير ، كما انه فى آثار بابل وفارس ، وفى اصباغ فينيقيا ، شاهد عظيم على اشتغال تلك الأمم بالتصوير فى الازمان البعيدة الغابرة .

وان الصورة التى صنعها الهنود لمولد معبودهم «بوذا» ، من أبدع الرسوم والصور القديمة بلا مراء . وفيها اكثروا من تصوير رحلة والدته قبل مولده ، ومن مولده وعبادة الانسان والجن له ، حتى أن المصورين الاوروبيين أنفسهم ينقلون الآن كثيرا من تلك الرسوم النفيسة الجميلة .

- ٢٠ -

التصوير عند قدماء المصريين

المصريون أسبق أمم التاريخ فى التصوير . والنقش . وهم اول من فكر في تلك الحرفة الجميلة .

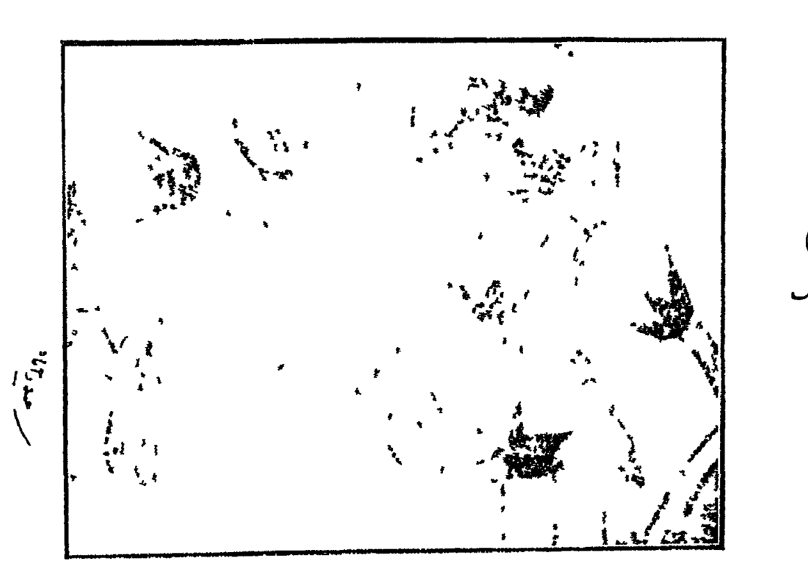
وقد عشقوا الفنون جميعها وشغفوا بها ، وكان لهم ولوع عظيم بالرسم والتصوير ، وميل الى استعمال الاصباغ الزاهية ، وذوق فى وضعها بحيث يكون لها تأثير ظاهر ويتألف من اجتماعها منظر أنيق يسر العين ، ولا يكل البصر أو يفرقه

وكانوا يستعملون الفرش ، واقلام الرسم ، واقلام البوص واطباق البويات . وكان المصور يستعمل وعاء على شكل خاص ، بهخانات يمزج فيها الالوان . ويدل على ذلك أدوات كثيرة متفرقة موجودة بالمتحف المصرى ، مالا تقل فى شكلها وطريقة استعمالها عما هو موجود ومستعمل الآن من ادوات التصوير

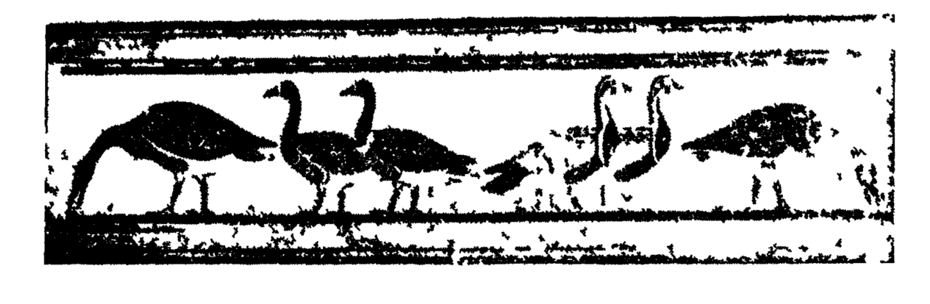
وفى المتحف المذكور نماذج مختلفة من الفرش والاقلام.
وكان المصور أو الخطاط يضع اقلامه ضمن كنانة من الجلد
على هيئة جعبة السهام ، أو صندوق من الخشب او النحاس


« لبعض ادوات التصوير عند قدماء المصريين »
(رسمها المؤلف عن نماذج من المتحف المصري)

وكانوا يرسمون بعض صورهم على لوحات ، كما هى الحال



(صورة قطة ملونة)
فى مقبرة الامير خنمحتب
فى بنى حسن



﴿ صورة البط ﴾

أفخر ما صنعه قدماء المصريين وهى موجودة في دار الآثار المصرية

الآن . بدليل ماذكره هيرودوت المؤرخ ، وهو : أن « أمازيس الملك » أهدى صورته لاهالي سيرين — وبالطبع لا يكون ذلك الا على لوحه قابلة للنقل من مكان لآخر

وكان للمصريين القدماء سلامة ذوق في رسم النبات والحيوان . وفى المتحف المصرى صورة البط (ملونة) وهي من أحسن وانخر ماخلفوه لنا من الصور

وكانت تماثيلهم وصور الاناسيّ منهم غاية فى الاتقان

وقد ظهر التصوير مع المصريين من حين ظهورهم . فقد استنبطوا التصوير قبل أن يبتدعوا الخط الهيروغليفى (الكتابة المصريه القديمة) اذ كانوا يصورون صور الحيوان والنبات والاشياء المتداولة بينهم رامزين لكل صورة منها لمعنى أو معان ، فى كتابتهم

وبما أن الكتابة المصريه هي اقدم كتابه فى العالم ، كما أجمع على ذلك فطاحل علماء التاريخ ، فالمصريون هم أول من ابتدع التصوير

هذه نفوشهم في كل معبد ، وعلى كل حجر ، وفى كل

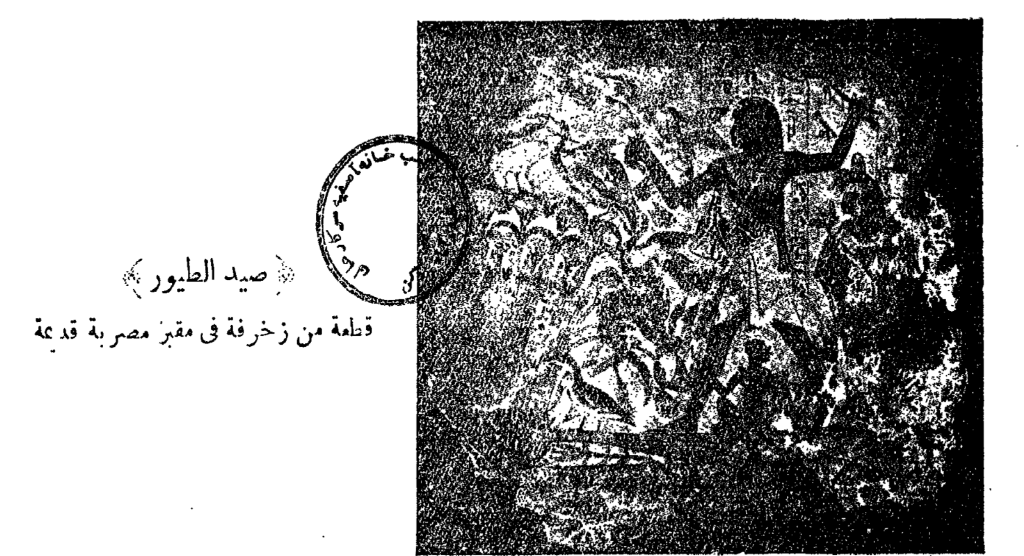
أداة . وهذا تصويرهم على الصوان والاحجار، وفى الهياكل والأذيرة ، وعلى ورق البردى، اكبر دليل على عظمة هذا الفن عندهم ، وتقدمهم فيه .

وقد صوروا لنا كل أحوال معيشتهم بصفاتها، وهيئات زيهم، وحرفهم، وصنائعهم، وشئونهم، وأعمالهم، وفروض دينهم وما كانوا يتمتعون به فى حياتهم ، وسجلوها على آثارهم المختلفة ، وقد سجلوا معها مقدرتهم العظيمة فى التصوير

وهذه برابيهم فى الصعيد ، على عظمتها ، واتقان صنعتها واحكام صورها، وعجائب مافيها من الأشكال والنقوش والتصاوير شاهدة بذلك

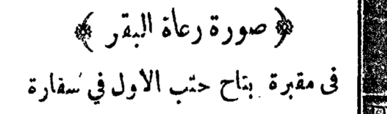
وفي البربى العظيمة بأخميم ، التي صوّر فيها ملوك مصر سقف من الحجر مغشى بالأشكال العجيبة ، حتى لا يخلو مغرز إبرة منه من رسم أو نقش أو رمز بالخط القديم

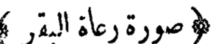
« وكان في مدينة منف بيت يسمى بالبيت الأخضر من عمل المصريين القدماء ، جميعه ظاهراً وباطناً منقوش ومصور، ومكتوب بالقلم القديم. وعلى ظاهره صورة الشمس



﴿ صيد الطيور ﴾

قطعة من زخرفة فى مقبرة مصرية قديمة

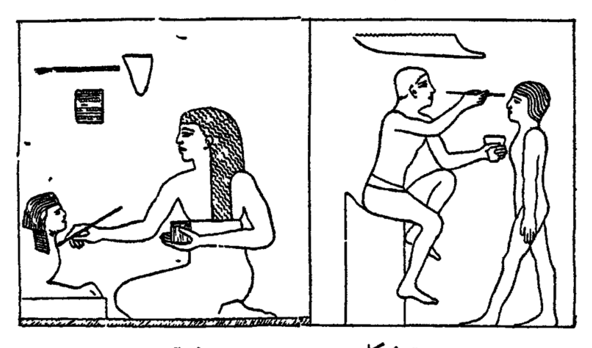




﴿ صورة رعاة البقر ﴾

فى مقبرة بتاح حتب الاول في سقارة

مما يلي مطلعها، وصور كثير من الكواكب والأفلاك وصور الناس والحيوان على اختلاف من النصبات والهيئات، فمن بين قائم وماش وماد رجليه وصافهما ومستمر للخدمة وحامل آلات ومشير بها »[١]



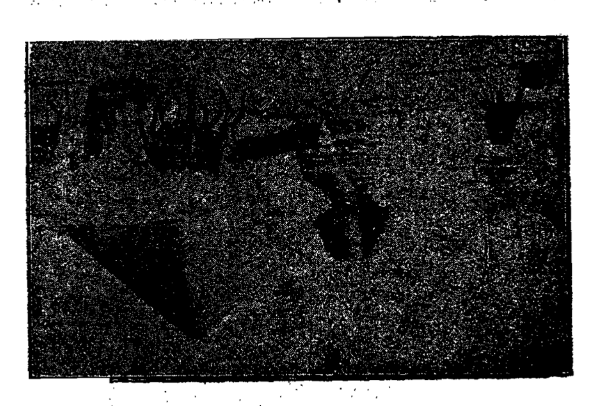
« شكل مصورين مصريين »

وهذا كل اتقان الفن واحكامه

وان أبا الهول، ذلك التمثال الهائل العظيم، المنحوت من الصخر الطبيعى (وجهه وجه انسان وجسمه جسم أسد) من سنه ٢٧٥٠ قبل الميلاد أى من سبعه وأربعين قرنا (وهو

(١) كتاب الافادة والاعتبار للرحالة العلامة الامام الخطيب عبد اللطيف البغدادى

أقدم الآثار المصرية) لهو أكبر شاهد على مقدرة المصريين وحذقهم، في فنون الرسم وصحة التمثيل والتصوير والنحت



« صورة أبي الهول »

« رسم محمد افندى يوسف المهندس »

« ومن عجائب هذا التمثال تناسب أعضائه . فان أعضاء وجهه كالأنف والعينين والأذن متناسبة ، كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة — اذ أن كل عضو ينبغي أن يكون على مقدار ماهيته بالقياس الى الصورة وعلى نسبتها — والعجب من مصوره كيف قدر أن يحفظ التناسب للأعضاء مع

عظمها[١] وهذا التمثال حسن الصورة مقبولها، عليه مسحة بهاء وجمال، كأنه يضحك تبسما. وفي وجهه حمرة ودهان أحمر يلمع عليه رونق الطراوة. ولا يزال دهانه محفوظاً مع الحجر، وانه ليس في الطبيعة مايحاكيه»[٢]

«وكثيراً ماكان المصريون ينقشون على جدران المقبرة المناظر التي كان يعيش بينها الميت، والخيرات التي كان يتمتع بها، مثل صورة منزله وحدائقه ومزارعه وخدمته على اختلاف أنواعهم، كل يشتغل بعمله. ومثل أشكال الرياضة التي كان يروض نفسه بها وغير ذلك، زعماً منهم أن الروح يستأنس بهذه الصور، فتذهب عنه الوحشة»[٣]

ثم انه اذا مات منهم عظيم حنطوه ووضعوه بكفنه داخل تابوت، وكثيراً ما كانوا يصورون على وجه التابوت صورة شخص المتوفي الموضوع بداخله، بخلقته وطبيعة وجهه وتفاصيله

---

(١) ان هذا التمثال الفخم ارتفاعه نحو ٢٠ مترا وطوله نحو ٤٦ مترا

(٢) كتاب الافادة والاعتبار

(٣) كتاب تاريخ مصر الى الفتح العثماني

وفى كل أثر من آثارهم برهان ساطع على طول باعهم فى الفنون الجميلة ، وفوقهم فيها ، وقطعهم شوطاً بعيداً من الرقي والحضارة

ومما يسر ذكره أنهم طرقوا باب عمل الصور الرمزية ، وصنعوا منها الكثير اما للهزل والتسلية ، واما انتقاداً لاحوالهم الاجتماعية ، أو ضحكا من الحكام أو رجال الدين في تلك الاوقات

وقد وجدت باحدى مقابر « طيبة » صورة تمثل أسداً وحماراً يغنيان على القيثارة والمزهر ، وأخرى في متحف « تورين » تمثل أربعة وحوش ، حمار ، وأسد ، وتمساح ، وقرد ، تضرب كلها على آلات الطرب ، ووراءها حمار لابس ملابس فرعون الحربية وفى يده (صولجان الملك) وهذه الصورة الجميلة تدل على حرية التصوير عندهم ، واتقانهم للرمز والخيال

استعمل المصريون سبعة ألوان وهي : الاصفر ، والاحمر ، والازرق ، والاخضر ، والبنى ، والاسود ، والابيض . استخرجوا بعضها من النباتات، والبعض الآخر

من المعادن . وكانوا يستخرجون اللون الازرق بتركيب الرمل و برادة النحاس و بيكربونات الصودا المحروقة ، والالوان الثلاثة وهي : الاحمر ، والاصفر ، والبني ، كانوا يستخرجونها من المغرة ، واللون الابيض من الجير والجبس

ويلاحظ السائح في مقابر «طيبة» أنهم كانوا يرسمون الاشكال اولا بالطباشير ، ثم يضعون عليها مادة ناعمة — يغلب على الظن أنها مركبة من المصيص الجيد والغراء الشفاف — ثم يلونونها بعدئذ بالالوان التي يريدونها .

وبعد تمام الصورة كانوا عادة يدهنونها بطبقة (ورنيشية) من الراتينج أو الغراء الخفيف . ولذلك ترى صورهم حافظة لألوانها الاصلية الى الآن

واستعملوا كثيراً من الطرق في التصوير . منها النوع الذي تدخله النفثا والشمع

وكانوا يدهنون الاقمشة واللفائف التي يريدون رسم الصور والاشكال عليها ، بمادة تسد مسامها ، وتزيد الالوان

بهجة وظهورا . ويظهر من هيئة تلك الالوان أنها عبارة عن مزيج من الصمغ والماء المذاب فيه كمية من اللون المراد استعماله

وذكر « ايروس » أن بعضها ممزوج بالعسل كألوان هـذا العصر المائية

- ٢١ -

التصوير عند اليونان

تناول اليونان عن مصر ، فن التصوير ، واتقنوه وتفننوا فيه وتقدم عندهم تقدماً تدريجياً ، وبذلوا فى هذا الفن تمام العناية والجهد ، وأفرغوا فيه صنوف حلل الجلال والمجد والبهاء ، وبرعوا فى اظهار الهيئة واللون فى الصور

غير أنه لا يعرف لدخول فن التصوير فى بلاد اليونان تاريخ صحيح معين . الا ان من نبغ من اليونانيين فى مدارس التصوير بمصر ، هم الذين نقلوا هذا الفن الى بلادهم ، غير اننا نعتبر قدوم المصور « بوليغنوتوس الناوسى » مدينة أثينا سنه ٤٦٣ قبل الميلاد . تاريخاً لهذا الفن في بلاد اليونان

ثم انه من ذلك الحين صارت أثينا أماً للفنون الجميله ومهبط فن التصوير

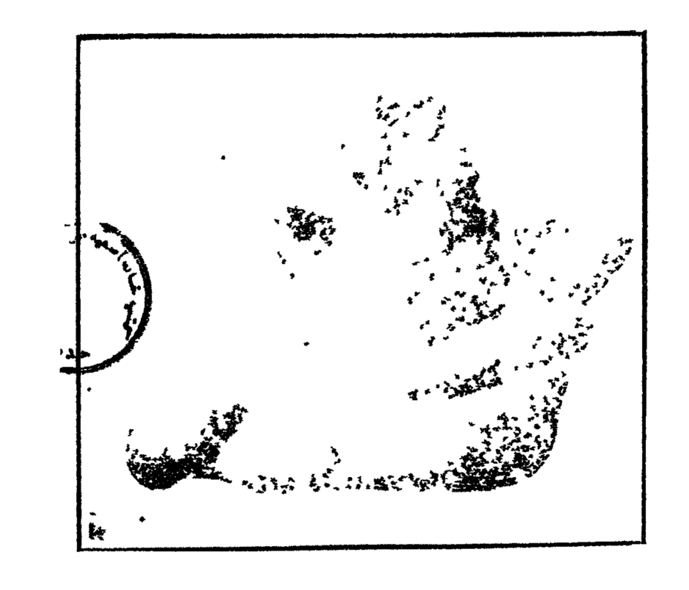
وقد اعتنوا حقيقة بالتصوير ، ونبغ فيهم المصور « ديونيسيوس السكولوفونى » ، والمصور « ميكون » الذى نبغ فى تصوير الخيل ، والمصور « بانينوس »

وكان أزهى عصر ارتقى فيه التصوير أيام «بركايس » السياسى القائد لحركة الاعمال بأثينا في القرن الخامس قبل الميلاد

وقد أينعت الفنون الجميلة في عصره ، فنبغ من المصورين كثيرون مهروافىفنهم، أشهرهم ورئيسهم المصور « أزميل فدياس » الذي شيد عظمة أثينا فى المباني الشاهقة والمعابد العظيمة ، بنقوشه البديعة ، وصوره المتقنة ، وتماثيله الجميلة . ولا يزال بقايا هذه النقوش يدرسها كبار المصورين في الوقت الحاضر

وصور المصور « زفكسيس » الذى فاق فى تصوير الجمال الحسى ، صورة القديسة هيلانه، فكانت احدى عجائب الصناعة القديمة

واشتهر بعد ذلك «ابلس » مصورالاسكندر. ويقال



رسم تمثال لحمار يونانى
فى العهد القديم

انه صور الاسكندر مرة صورة أعطاه عليها ما يزيد على خمسين الف جنيه

ويقال أيضاً : أن الاسكندر زاره مرة فى بيته وأخذ يتكلم عن التصوير كلاماً يدل على جهله لهذا الفن ، فانتهره « أبلس » وقال : اصمت لانى أسمع الاولاد الذين يمزجون الادهان يضحكون عليك ·

غير أن اليونان لم يعتنوا بتصوير الحوادث الواقعية وتبيين تفاصيلها لان أفكارهم انصرفت إلى تمثيل الحوادث الشعرية . وقد برعوا في اظهار الهيئة واللون

وكانوا يصورون صورهم بالغراء والحليب ، أو بزلال البيض ، على الخشب والطين والحجر . وفي آخر المدة كانوا يصورونها على القماش · وكان المصورون يستخدمون أربعة ألوان أصلية وهى : الابيض ، والاحمر ، والاصفر ، والاسود . وكانوا يركبون منها كل ما أرادوا أن يركبوه من الالوان والاصبغة

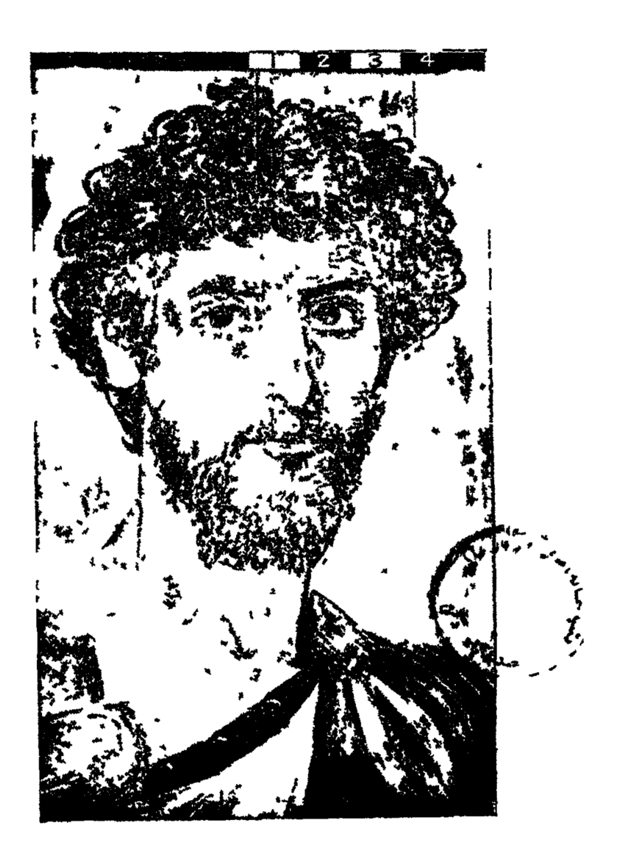
– ٢٢ –

التصوير عند الرومان

نقلت الرومان التصوير عن اليونان . فشاع هذا الفن في زمن الجمهورية الرومانية . الا أن التصوير عندهم لم يكن محصوراً في الهياكل والأبنية العمومية ومقصوراً على الرموز الدينيه ، ولكنهم أدخلوه في بيوتهم أيضاً. وكثر تصوير الاشخاص والناس ، حتى كان ابناء الاشراف يثبتون نسبهم بمشابهتهم لصور أسلافهم المحفوظة عندهم — واقتصر هذا على الأشراف وأصحاب الشأن الكبير بين القوم

وقد تفنن الرومان في تصويرهم ، واستنبطوا فيه الروح التى نشاهدها الآن في هذا الفن. وقدأظهروا في صورهم الجمال والعواطف، ومثلوهما تمثيلا بديعاً

الا أنه لم يخل فن التصوير عندهم من القيود . فقد سن لهم الكهنة قوانين ، مثل التى ألفها مصورو اليونان — فكاد فن التصوير يكون مقصوراً على الموضوعات الدينية ، ولا مندوحة للمصور عن تلك القواعد والروابط التى



(صورة رأس روماني)
مثال من التصوير على اللوحات

قيدت الفن . فكانت الصور تظهر جافية ، وذهب من التصوير جماله وطراوته . واتبعت طريقة واحدة في شكل الوجه والجسم ولونهما ووضعهما ، حتى صار فن التصوير لا يستحق ان يكون من عداد الفنون الجميلة

وفي عهد النهضه الاوربية ، كان اول فن انتبه اليه ، فن التصوير . إذ لما ظهرت هذه النهضة نظرت الى ذلك الفن الجميل فنصرته ، وفكت قيود القرون الوسطى التي كادت تقضي عليه . فارجعت للفن حريته وحياته

ومن اعظم مصوري الطور الاول من اطوار النهضة « سيميو » من مصوري فلورنسا — ومما ساعد على اصلاح الفن في هذا الوقت اهتمام المصورين بدرس الرسم المنظور وعلم التشريح . فظهر في التصوير لاول مرة جمال الوجه الانساني وتشكله

وبعد هذا الطور اخذ التنويع يظهر في موضوعات الرسم ، بعد ما كانت مقصورة على الامور الدينية . وظهر في هذا الفن في القرن السادس عشر أساتذة عظام لم ير العالم

مثلهم في نبوغهم وفوقهم (منهم ماساشيو ، وبيرجيو — أستاذ روفائيل) واشهرهم اربعة هم

«ليونارد ودافينشي» ١٤٥٢ — ١٥١٩ ، واعظم صورة صورها (العشاء الربانى الاخير) وهى على أحد جدران دير بمدينة ميلان

« وروفائيل » ١٤٨٣ — ١٥٢٠ ومن اعظم اعماله (صور العذراء العدة) التى تعتبر من انفس ما خلفه مصورو تلك العصور و « ميخائيل انجيلو» ١٤٧٥— ١٥٦٤ ومن أجمل أعماله صورة (يوم القيامة) بمقصورة البابا بالفاتيكان برومه

« وتتيان » ١٤٧٧— ١٥٧٦ ، وهو من أعظم من نبغوا فى تصوير الاشخاص الاحياء . وقد حفظ لنا برسومه (التى كادت تنطق من فرط ابداعها ودقة صنعها) صور كثير من أعاظم معاصريه »[1]

---

(١) تاريخ اوربا الحديث ج ١ لعمر افندي الاسكندرى وسليم افندي حسن

وهكذا أخذ التصوير يرقي بعد ذلك ، حتى وصل أعلى درجات القيمة والقدر . وظهر هذا الفن بمظهره الجميل العظيم ، ومنظره الجذاب الفاتن ، ونبغ فيه مصورون عظماء ، أدهشوا العالم بما أخرجته أيديهم من بديع الفن ورقيق العواطف ، وما أودعوه في صورهم من أسرار الصناعة والحياة. منهم في القرن السابع عشر المصور « انجلوتارافاجينو » و «الكارتشيون» وأتباعهم . وانتهى تاريخ تلك الصناعة في القرن الثامن عشر « باندرياسكي » و « كايوفارتي » و « روفائيل منغس »

وحافظت ايطاليا على فن التصوير، فقر فيها واستوطن وروحه بها لم تزل حية عالية

- ٢٣ -

تقدم فن التصوير

كان على التصوير في عهـد المصريين القدماء قيود وقوانين ، وضعها الكهنة للمصورين في أول الامر ، فكانوا لايحيدون عنها . ولذلك ترى صورهم ومحفوراتهم على نسق واحد لم يتغير مدة ألوف من السنين ، اذكانوا يقتصرون على رسم الصور المتقنه التى تمثل عاداتهم وأحوالهم وملابسهم أحسن تمثيل

« وكان يحظر على المصورين والحفارين أن يتفننوا في صناعتهم ، أو يزيدوا شيئاً على ما ألفوا رسمه وحفره »[١]

ولذلك كان لتصويرهم أوصاف ثابتة ، فلم يتوسعوا فيما عدا ذلك ، الا بعد عهد النهضة المصرية الاولى في عهد « سيتى » و « رعمسيس » الا انهم وضعوا الحجر الاساسى

(١) دائرة المعارف للبستانى. (في مادة تصوير)

للامم في حسن اتقان صورهم والتفنن فى التمثيل

وارتقى التصوير بعد ذلك في عهد الملك « أمنحتب الثالث » — وأزهى أزمان التصوير فى مصر هو من سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد الى الفتح الفارسى سنة ٥٢٥ قبل الميلاد

وفي أيام النهضة المصرية الاولي، فى عهد الاسرة السادسة والعشرين ، زالت الرموز والقيود الرسمية عن الرسم والتصوير بعد ان كادت تذهب بكثير من رونق الصور وزهوها

فظهر بعض جمال هذه الحرفة ، وابتدأت من ذلك العهد حرية التصوير، وتفنن المصورون المصريون فيه ، وارتقى عندهم ارتقاء عظيما

ثم أخذ التصوير المصرى بعد ذلك فى الانحطاط ، وزها بعده التصوير اليونانى

ولم يكن لتصوير الجمال أثر عند المصورين المصريين . وقد خفى عليهم التصوير الجامع بين النور والظل ، ومن تركيب الالوان ومزجها فى الصور . ولكنهم صوروا المناظر

الطبيعية والصور الرمزية

« وكان التصوير فى اليونان قبل القرن الخامس قبل الميلاد محصوراً تقريباً فى التزويق والتمثيل ، وكان لا يستعمل الا فى تكوين النقوش والرسوم ، وزركشة الهياكل ، وما يماثل ذلك » [1]

وقد أنمت الحروب بين اليونان والفرس القوى العقلية ، فأخذ التصوير في اكتساب أوصاف مخصوصة ، وأصبح صناعة مستقلة

وظهر فى الصور بعد ذلك الجمال الطبيعى ، فان حب الجمال كان عند اليونان مبدأ دينيا . و وصلت الصور الى درجة الكمال والبهاء

وانتقل فن التصوير من حال التقييد الدينى التى كان عليها ايام قدماء المصريين الى حال حياة وحركة وحرية

ثم ظهرت فى الصور دقائق الهيئة واللون — حتى قال

---

(١) دائرة المعارف للبستاني

« ارسطو » في المصور « ديو نيسيوس السكولوفوني » أنه يصور الناس كما هم —

ثم توسع فى مبادىء النور والظل ، وصارت للتصوير طريقة تشخيصية

وظهر بعد ذلك تصوير الجمال الحسى — وأخذ اليونانيون القدماء يبرعون فى التصوير واتقانه الى آخر أيام الاسكندر (فى القرن الرابع قبل الميلاد)

ثم اخذت هذه الصناعة في الانحطاط والتأخر ، حتى أنه فى اواسط القرن الثالث قبل الميلاد لم يشتهر فى هذا الفن أحد تقريبا

الا ان التصوير انتعش قليلا بعد ذلك فى أيام الدولة الرومانية ، وكثرت خزائن هذه الصناعة فى رومية بواسطة عناية القواد والامبراطرة . وقد ادخل الرومان التصوير باكرا في البيوت ، حتى لم يكن بيت من بيوتهم يحسب تاماً ما لم يكن في كل قسم من أقسامه صورة تزينه

وقبل ايام الامبراطور « قسطنتين ، » كانت تعمل صور رمزية بالحيوان والنبات للدلالة على أشخاص مقدسين وكان يصور « المسيح » عليه السلام خاليا من كل جمال

ثم صدرت اوامر ·'. ابا بتصوير « المسيح » بكل صفات الجمال الممكنة — وفى سنة ٦٩٢ م اذن مجمع القسطنطينية بان تعمل للمسيح صور شخصية عوض عن الرمزية

وتمكنت بعد ذلك صناعة التصوير المسيحية — وخلف التصوير على الحيطان عمل الفسيفساء

ثم غلبت الطريقة البيزنطية، وكان البيزنطيون يصنعون الصور على الاكثر لمقاصد دينية ، وصار لها في بداية القرن التاسع هيئة خالية من الجمال

وكان المصورون يسكنون الاديرة رهبانا واشخاصا يقتصرون على حرفة التصوير. وكانت موضوعات تصويرهم واحدة تقريبا ، وهى تكاليل العذراء والسيدالمسيح ، وصور تاريخية للتاريخ او الرموز المقدسة — وقد اشترك المصور

في الحماسة الدينية ، فكان يقصد فى تصويره فخر الديانة المسيحية وخير بنى البشر

ثم ظهرت بعد ذلك الصور مقلدة الطبيعة باكثر تدقيق وتقدم الفن شيئا بادخال لون أصفر أشد مطابقة للطبيعة بدلا من اللون الاسود الذى كان قد حافظ السلف على تركيبه فى الصور

وبعد نهضة فن التصوير فى ايطاليا ظهر في الصور الجمال والعظمة — غير انه لم يهتم المصورون كثيرا بتصوير المناظر الطبيعة ، اذ كان الغرض من تصويرهم دينيا تقريبا ثم ابتدأ المصورون يصرفون جهدهم فى جعل صورهم مؤثرة

وفي القرن الخامس عشر تقدم فن التصوير كثيرا ، ووصل الى أعلي درجة ، وامتاز بالاتقان وجودة الالوان ، والبراعة فى تصوير رؤوس الاناث

وفي القرن السادس عشر ادخلت فى التصوير طريقة جديدة بالوان ذهبية ، وصورت فى هذا القرن صور تاريخية

وجغرافية وارتقى جمال تصوير النساء المجرده

ثم ظهر بعد ذلك التصوير الوصفي، ونهض فن التصوير في هذه المدة نهضة عظيمة، وظهر في الصور الجمال الحقيقي ومثلت فيها العواطف السامية والشعور الراقي والحاسات

وظهر جمال الفن وقيمته ، وزها زهوه العظيم وبهاءه واتصفت الصور باللين الجذاب واللطف

وباختراع طريقة التصوير بالالوان الزيتية اتسع مجال الاستنباط في الصناعة . ولما كان القرن الثامن عشر اخترعت طريقة التصوير بالالوان المائية . ثم في القرن التاسع عشر استنبطت الوان الباستيل

وأول طريقة عملت بها الصور الملونة كانت بالغرا وبالصمغ وبالراتينج في ايام قدماء المصريين ، ثم بطريقة التصوير بالوان الغراء وبالفحم في ايام اليونان، وزاد على ذلك التصوير بالوان الزيت في ايام الرومان، وبمزج مسحوق اللون بالغراء او الصمغ او زلال البيض عند الفرس والعرب

ثم استنبطت في القرن التاسع عشر طريقة التصوير الرمزى (كاريكاتير) وشغل الريشة. ثم ظهر التصوير التخيلى

ولا تزال الامم تتفنن فى التصوير وتعتنى بتوسيع دائرته وقد اخترعت لسهولة التصوير وسرعته، آلة التصوير الشمسى (الفوتوغراف — Photografa) تأخذ الصور بالضبط كما هى فى الطبيعة

-٢٤-

مدارس التصوير

ان الوقوف على تاريخ مدارس التصوير فى العالم من الامور الشاقة ، الا انى بقدر الامكان أذكر ما وفقت الى معرفته من امرها

كان في ايام المصريين القدماء مدارس عدة ، كبري وصغري ، يخصص لها الملك المرتبات والارزاق تحت رعايته واكبرها واعظمها مدارس هيلوبوليس (عين شمس) ومدارس طيبه ، تدرس فيها العلوم والمعارف والفنون على أنواعها. وكان الفائز منها بأوفر قسط يفيض عليه كرم الملك فكان ياكل ويشرب وينفق علي حسابه . ثم ان مدارس بيت سيتى (هيكل القرنه الآن) تمتاز بمدرستها العالية، لاتقبل غير أبناء الوطن الاحرار، بلا فارق بين غنى وفقير وعزيز وحقير . وقد ربي رعميس الثانى ابن سيتى الاول فيها .

وكانت توجد عدا هذه المدارس مدارس للفنون

والصنائع ، يتلقى الطلاب فيها العمارة ، والنقش ، والتصوير وكانت الحرية فيها هى العماد الوحيد لتهذيب طلبتها ، حتى ان للطلاب الفائزين فى امتحاناتها الا بتـدائيـة حرية اختيار الاستاذ الذى يريدون تلقى الفن عليه . وكان الطالب يختار من بين اساتذته استاذا يأمل بالتلقى عليه الوصول الى ذروة التقدم والنجاح ، فيداوم عليه ويلازمه ملازمة الظل للشبح حتى ينبغ فى العلم الذى تفرغ لاستقائه واستيفائه

وأول مدرسة انشئت للتصوير فى اليونان مدرسة أثينا التى أسسها « بوليغنوتوس » فى القرن الخامس قبل الميلاد ثم ظهرت في اليونان مدرسة اخري بعد ذلك العهد نسبت الي مؤسسها المصور « او بمبوس السيكيونى » بناها بالقرب من عهد فليب المقدوني، وكانت اخر مشهد للتصوير اليوناني أو آخر عصر الاتقان

ومع شدة رغبة الرومان في التصوير لم يكن لهم مدرسة خاصة بتعليم هذا الفن قبل ان تنشأ المدرسة البيزنطية — واقيمت مدارس فى البندقية وبيزا ، وسيانا ، فى ايطاليا فى اوائل

القرن الثالث عشر . فكانت أساسا المدارس التصوير الاولى

وبقيت مدارس تسكانا مركزاً لاحياء الصناعة مدة اكثر من قرنين ، وكانت فى الرتبة الاولى فى فن التصوير . وقد فاقت على الجميع مدرسة فلورنسا العظيمة التى انشأها المصور « جيوتو » فاكتسبت الصناعة تقدما ورونقا

وصارت فلورنسا في عهد بيت مديشى أشهر عاصمة زاهرة للتصوير ، وكانت مهبط الفن ، مر عليها أزهر عصور المصورين من « ماساشيو » الى « تتيان » واظهرت نجاحا عظيما فى تعليم الصناعة ، ونبغ منها أعظم المصورين

اما مدرسة البندقية فكانت في الرتبة الاولى من جهة دقة التلوين — ولمدرسة بادوا تعلق عظيم بتاريخ مدرسة البندقية ، بنشاطها وتقدمها

واسس المصور « اندريا منتينيا » مدرسة منتوا نبغ منها كثيرون من اشهر مصورى لمبرديا فى شمالى ايطاليا . ومدرسة بارما أشهر مدرسة فى ايطاليا الشمالية

واسست مدرسة امبريا (مقاطعة) نشأت منها رأسا

المدرسة الرومانية . وأنشئت فى ميلان مدرسة زاهرة للتصوير

أما مدرسة بولونيا فلم ينبغ منها أحد كبير الاهمية الي أواخر القرن الخامس عشر ، ولم تر أزهر عصرها الا سنة ١٥٨٥

وفي أوائل القرن السابع عشر أنشأ « البروكنشيتيون » مدرسة انتخابية في ميلان

وفى النصف الاخير من القرن الرابع عشر صار لمدرسة « كولونى » الالمانية شهرة كبيرة

وفى القرن الخامس عشر انشئت في المانيا مدرستان فى نورنبرغ وسوابيا

وابتدأ تاريخ مدرسة التصوير الفلمنكية من ابتداء القرن الرابع عشر . وقد كان أزهى عصرها في أوائل القرن السابع عشر . وفى سنة ١٤٩٠ أقيمت مدرسة أخرى فى « انتورب »

ومدرسة اسبانيا هي الوحيدة في تاريخ أوروبا من

جهة اقتصارها في التصوير على مواضيع دينية ونسكية
وفى القرن السادس عشر كان بها مدارس للتصوير في
اشبيلية وبلنسية وقسطيلة ، وكانت مدرسة اشبيلية اشهرها
واما فرنسا فكانت صناعة التصوير بها منذ أيام
« شارلمان » ولكن لم يوجد بها مدرسة وطنية للتصوير
الا بعد ان أتاها المصورون من ايطاليا فأسست فيها مدرسة
فرنسا ، ثم أسس « جاريكولت أوجين دى لا كروا »
مدرسة شعرية للتصوير . والمدرسة الفرنسوية الحالية
مشهورة بصحة الرسم والتركيب والاتقان ، وربما كانت
هذه المدرسة أحسن مدارس العالم

وأما انجلترا فليس لها قبل القرن الثامن عشر مايستحق
الذكر من جهة فن التصوير . وفضل أقامة مدرسة للتصوير
فى انجلترا ينسب الى السير « جوشوا رينولد » أعظم
مصوري الانجليز

وتمتاز هذه المدرسة بالكره الشديد للون . وفي القرن
التاسع عشر كان من صفات مدرسة التصوير الانجليزية

المميزة الميل الى التصوير التخيلي وتوسيع دائرته والاجتهاد في إتقانه . والمدرسة الانجليزية لتصوير المناظر لاتزال فى الرتبة الاولي فى هذا الفن

وفي أواسط القرن التاسع عشر انشأ « بول سندبى » المدرسة البريطانية للتصوير بلون الماء وهى أحسن مدرسه فى العالم فى فنها

وقامت فى انجلترا في الربع الاخير من القرن التاسع عشر مدرسة خصوصية للتصوير العالى

وفى الولايات المتحدة الامريكانية انشأ « توماس كول » مدرسة لتصوير المناظر في سنة ١٨٢٥

اما عند العرب فعلى ماأظن لا بد أن كان بها مدارس للتصوير في الاندلس ، وفي المغرب ، وفى بلادالعرب ، نبغ منها مصورون في النقش ، والتصوير ، والرسم ،

أما في مصر فان فن التصوير كاد يدرس ويمحى من البلاد حتى قيض الله للوطن من نصر الفنون الجميلة بها . فقدقام صاحب السمو الامير « يوسف كمال » . فأنشأ مدرسة

الفنون الجميلة المصرية فأبقي على الفن ، وأحيا هذه الصناعة .
فمصر مدينة له بالثناء العاطر والشكر الجزيل

واني لا يسعني ان اوفى حق صاحب السمو من المديح ولكنني اقول لسموه

« ان كان جدك الاكبر يعد محيي مصر فأنت محيي الفنون الجميلة بها »

- ٢٥ -

نوابغ المصورين

ان البحث فى هذا الباب يرجع بى القهقرى الى ثمانين جيلا أو اكثر ، الى الآف من السنين غير معينة المدة . فانه يجب على أن اذكر من نبغ من المصريين القدماء فى حرفة التصوير ، من عهد ان عرفوا تلك الصناعة :

غير أن التواريخ للآن ، لم تظهر لنا أسماء كثير من النابغين فى تلك الحرفة الجميلة فى الاجيال السالفة وقديم العهود .

الا اننى أقتصر على ذكر مصور مصرى نابغ ، ونقاش شهير ، في عهد نهضة التصوير أيام «سيتي» و«رعمسيس» وهو يكفي دليلا واضحا على اعتناء المصريين القدماء بهذه الصناعة ، وما بلغ هذا الفن فى عهدهم من الرقي

فقد اشتهر في عهد «سيتى» الاول ، مصور شهير ، ونقاش عظيم ، ونحات ماهر ، اسمه (بتاؤ) . انتشرت شهرته فى الآفاق ، وذاع صيته فى اتقانه فى النقش والتصوير حتى صار موضع الابصار ، تشد اليه الرحال . فانه هو الذي نقش الكتابات والرسوم الهيرغليفية ، على المبانى الباذخة ، التى شادها الملك « سيتى الاول » في ابيدوس (العرابة المدفونة) وطيبة ، وأبدع في تنميق قبر هذا الملك الجليل القدر ، واستنبط الرسوم الممثلة لوقائع الحروب ومناظر الاعياد والحفلات على جدار قبر « رعمسيس الثاني» وكانت تؤخذ عنه دروس النقش والتصوير ، لما رزق من المواهب والاستعداد فيهما .

واشتهر في اليونان ونبغ فيها المصور « بوليغنوتوس الثاوسي » وهو معلم اليونان الاكبر وأستاذهم فى حرفة التصوير ، وقد لقبه « أرسطو » بمصور الاوصاف ، وكان أبرع المصورين القدماء فى اظهار دقائق الهيئة واللون . وقد زين كثيرا من ابنية اثينا العمومية ، وصور ثلاث

صور مشهورة مثــل فيها الوقائع الخطـيرة التي رواها « هوميروس » واهداها الى الليسيوم (وهي دار عمومية بقرب هيكل ابلون في دلفي) وأسس لتعليم التصوير المدرسة الاثينية ، وطرق فنون التصوير وانواعه كلها ، بعكس غيره من المصورين اليونان ، فقد كان كل منهم اخصائي في نوع واحد تقريباً ولذلك فقد امتاز عليهم.

ويتلوه المصور الكبير « أزميل فدياس » مخلد مجـد أثينا بأعماله العظيمة

أما عند الرومان ، فان أحياء صناعة التصوير ينسب الى المصور « چيوفاني تشيما بوي » الفلورنسي في أوائــل القرن الرابع عشر . والمصور « چيوتو » الذي خطا خطوة كبيرة من التقــدم بالفن في القرن الخامس عشر ، برفضه اللون الاســود في الصور وادخاله اللون الاصفر المطابق للطبيعة . ونبغ من بعده تلميذه «اندريا اركانيا» الذى حسبت صوره أفضــل من صور استاذه في الجمال والعظمة . ومن بعد هذا المصور نبغ المصور « تشنيني » وهو مؤلف أقدم

رساله ايطالية في التصوير ، والمصور «فرنشسكو دافليرا» وهـذان لم يحيدا عن طريقـة چيوتو . وينسب للمصور الكبير «ماساشيو»[١] أحد نوابغ مدرسة فلورنسا التي صارت في عهد بيت مديشي أشهر عاصمة للتصوير ، فضل إقامة عصر عظيم لتلك الصناعة في القرن الخامس عشر . فقـد صرف النظر عما كان في عصره من صور البشر ، وبـذل جهده في درس الفن آخذاً اياه عن الطبيعة ، وقـد بقيت صوره دستوراً يقتدي به الى أيام روفائيل . واشتهر بعده المصور « فرا انجليكو دي فيا سولى» الذى اشتهر فى تصوير الصور الدينية المؤثرة التى اتحف بها الصناعة . وفى النصف الاخير من هذا القرن أدخل المصور « مودوفيكو كاردى » طريقة جديدة امتازت بالاتقان وجودة الالوان . واشتهر فى تصوير رؤوس الاناث المصور « كارلو دولشي »

واقطاب فن التصوير فى ايطاليا ، هم « ليو ناردو دافينسى» « وميخائيل انجيلو » مصور الصور الدينية ، و « تتيان »

(١) استاذ ليو نادود افينسى

مصور الاشخاص و « بيروجيو » [1] الذي أسس مدرسة للتصوير بفلورنسا .

أما ابو هـذا الفن واستاذ العالم فيه ، فهو « روفائيل سانزيو » الذى كسف اسمه اسماء المصورين الباقين . اقتدى به العالم بأسره فى طريقته المبتكرة فى التركيب والرسم والاختراع واجتهاده فى الصناعة وروحه السامية في التصوير . وهو الذى زين غرف الفاتيكان بالنقوش الجميلة التى طبق صيتها الخافقين ، وصور صورة (تتويج شارلمان) وصور العذراء العدة ، و (صورة حريق البوركو فيكشيو فى رومه) . ولا يخلو متحف فى اوربا من بعض اعمال يديه التى لا تجمع تحت حصر مع ان عمره حين وفاته لم يتجاوز ٣٧ سنة

ونبغ فى المانيا فى النصف الاخير من القرن الرابع عشر الاستاذ « ولهلم الـكولونى » ، وكان أعظم مصور فى جميع البلاد الالمانية . أجاد التلوين وأحكم صنعة الصور ، وكان يصور جميع أنواع البشر كأنهم أحياء

(١) استاذ روفائيل

وقام « هوبرت » « وحان فان ديك » فى بروج بهولنده، وأخذا يعلمان حرفة التصوير لمن يتقاطر عليهما من التلاميذ، فظهر هذا الفن فى بلاد الفلمنك (هولنده).
وأزهى عصر للتصوير فيها كان فى أيام المصور « بطرس بولس روبنس » الذى نبغ فى تلك البلاد وكان من فحول المصورين، وقد أحيا فخر فلورنسا والبندقية، وأنهض فن التصوير في بلاده . وان أشهر تلامذته « انطونى فان ديك »[1] أمهر منه، وقد أوصل فن التصوير الى أعلى درجاته .

وذهب الاسبان الى ايطاليا، وكذلك أتى الى اسبانيا المصورون من الفلمنك وايطاليا، فعلموا الوطنيين . وأشهر مصورى الاسبان، وكبيرهم النابغ فيهم، هو المصور « فيلاسكيز » ، أتقن الفن وبرع فيه . حتى أنه كان يلقب أحيانا بروفائيل الاسباني .

---

(١) قد يوضع هـذا المصور بجانب روفائيل لروحه العالية في التصوير



، صورة أوب فى محنته

ن عمل الصور مر سى و ا

مال من صور لدى

أما فى فرنسا ، فان التصوير كاد يتأخر فيها الى ان أحياه المصور « جاكوي لويس دافيد » حياة مؤقتة بالقرب من زمن الثورة الفرنسية . ونبغ فيها المصور « غروس » وهو أول من ترك طريقة الاشياء القديمة . وأدخل هو و « جاريكولت » طريقة التصوير عن الطبيعة في فرنسا وفى منتصف القرن الناسع عشر نبغ وتفوق « هوراس فرنت » فى صور الحروب ، وامرأة اسمها « روزا بونور » فى تصوير الحيوانات ، والمصور « ترويون » فى تصوير المناظر .

اما انكلترا قبل القرن الثامن عشر فمصوروها لا يذكرون وأول مصور مشهور فى التاريخ البريطانى بل أحسن مصور في انكلترا هو « وليم هوغرث » صاحب الصور الهجوية وقد برع جدا فى التلوين وصور الاشخاص والتاريخ . ويعقبه المصور « السير جوشوا رينولد » وفي المناظر الطبيعية نبغ المصور

« توماس غاينسبرو » و « رتشرد ولسن » . وفى التصوير الرمزى المصور القدير « وليم بلاك » امافى التصوير بالالوان المائية فقد نبغ مصورون كثيرون منهم « كوبلى فيلدنج » ومن بعدهم نبغ مصورون يصورون الطبيعة كما هى حولهم منهم « دنت جبريل بوستى » .

اما فى الولايات المتحدة ، فلم يتقدم التصوير الا فى النصف الاول من القرن التاسع عشر • ولكن الامريكان برهنوا على اقتدارهم العظيم في هذه الصناعة . ونبغ فيهم مصورون عظماء منهم « جلبرت ستيورات» . ومن المنهضين بهذا الفن في البلاد الامريكية المصور . « توماس كول » إذ أنشأ مدرسة لتصوير المناظر بها حوالى سنة ١٨٢٥ وهكذا اخذت هذه الصناعة فى التقدم عند الامريكان وبذلوا جهدهم في تصوير المناظر والناس حتى صاروا في اوائل دول الفن الجميل ، ومصوروهم في صف مصورى أوربا



صورة مشاهير المصورين في العالم

(١) تيتيان أشهر المصورين توفي سنة ١٥٧٦ (٢) روفائيل المصور الإيطالي وأشهر مصوري العالم توفي سنة ١٥٢٠ (٣) دافينشي المصور الإيطالي العظيم توفي سنة ١٥١٩ (٤) نقولا بوسين المصور الفرنساوي الشهير توفي سنة ١٦٦٥ (٥) روزا الإيطالي المصور التاريخي توفي سنة ١٦٧٣ (٦) فان دك من مشاهير ملوني الصور توفي سنة ١٦٤١ (٧) روبنس الألماني أشهر مصوري الأشخاص توفي سنة ١٦٤٠ (٨) ميخائيل أنجلو المصور والنحات والرسام والمهندس الإيطالي توفي سنة ١٥٦٤ (٩) جوشوا رينولد الإنكليزي مصور الأشخاص توفي سنة ١٧٩٢ (١٠) توماس كول الإنكليزي مصور الخيال توفي سنة ١٨٤٨ (١١) بنيامين وست المصور الأمريكي توفي سنة ١٧٣٨
(١٢)

اما في مصر فان لصناعة التصوير املا عظيما بأن تلاقى تقدما باهرا ، بفضل اعتناء المصريين بها .

والمصورون المصريون ينافسون أعظم مصورى العالم بالفن الحديث ، بل يفوقونهم احيانافى سلامة الاذواق و نقاء الافكار . أخص بالذكر منهم

الاستاذ « محمد افندى ناجى »وله فى مصر صورة جنى البلح التى لم تر الصناعة الحديثة اجمل منها

والاستاذ « محمد افندى حسن » النابغ فى التصوير بالقلم الرصاص .

والاستاذ « على افندى الاهواني المتفوق فى تصوير المناظر الطبيعبه .

والاستاذ « يوسف افندي كامل »مصور الاسواق والمناظر الاثرية .

والاستاذ « راغب افندى عياد » البارع فى الوان الباستيل .

وكل هؤلاء من خريجى مدرسة الفنون الجميلة المصرية .

فنكرر الثناء على ذلك الرجل العامل ، صاحب السمو الامير (يوسف كمال) مؤسس تلك المدرسة ، الذى جعل لمصر بفضل اعماله المشكورة اسما بين دول الفن

-٢٦-

التصوير عند الصينيين

نتكلم عن التصوير عنـد الصينيين ، وليس فى وسعنا أن نأتى على وصف العظمة التي ظهر بها ذلك الفن الجميـل في تلك الامة الشرقية ، القديمة في التاريخ ، العريقة في المدنية ولا يمكننا أن نقدر ذلك التقدم العظيم الذى بلغه التصوير عندهم ، ولا تلك الافكار السامية ، والجمال الذى مثلوه فى صورهم بكل معانى الابداع

فقـد كانت الصـناعة الصينية . ولا تزال ، موضـع اعجاب العالم عن بكرة أبيه . فان من محاسن فن التصوير عند الصينيين بدائع يقف أمامها المرء مبهوتاً ، لما يراه من دقة الصنعة وانطباقها على الطبيعة . كما أنهم أوتوا من المهارة والحذق ما يعد من الآيات في ذلك الفن

وجد التصوير في الصين قبل التاريخ بأجيال متوغلة فى القدم جـداً ، لا يعرف تاريخها . وكان يمثل في صناعة

المحفورات الدقيقة ، وعمل التماثيل المنحوتة من الحجر والخشب والعاج ، الى عهد دولة سنغ سنة ٢٢٥٥ قبل الميلاد ، حيث تقدم التصوير خطوة كبيرة ، بالاكثار من صناعة الصور الملونة

ويقال في التاريخ : أن أهل الصين صنعت حيوانات خشبيه تجر المركبات . وبلغت مقدرة الصانع الصينى « فاشنغ » فى التصوير والنحت مبلغاً يمكنه من أن يصنع أشخاصاً خسبية تضرب الطبل وتنفخ فى الزمر[1]

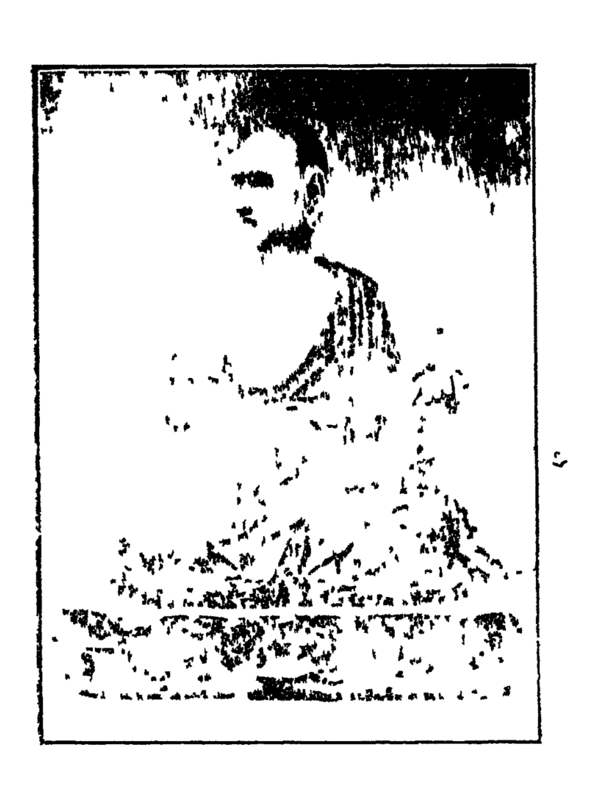
وقال « ابن بطوطة »[2] عند تكلمه عن الصين . وقد شاهد بلاداً كثيرة منها في اوائل القرن الثامن الهجري ، ما نصه :

« ان التصوير لا يجاريهم أحد فى احكامه من الروم ولا من سواهم . فان لهم فيه اقتداراً عظيما . ومن عجيب

---

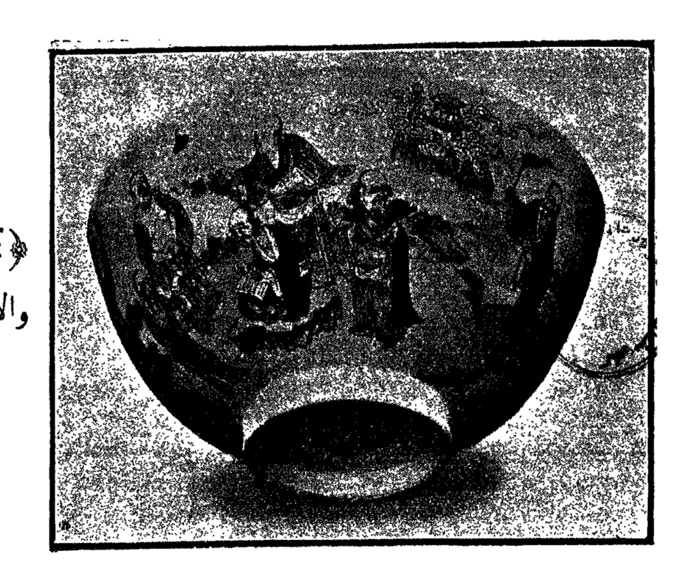
(١) مقتطف ج ١ مجلد ٥٩

(٢) « الرحلة » ص ١٦٠ و ١٦١ ج ٢ مطبعة التقدم



(المعبود بوذا)

مثال من الحجر على أصح عهد الصينيين



﴿نموذج من التصوير على الخزف
والاواني﴾ عندالصينيين

ماشاهدت لهم من ذلك ، انى ما دخلت قط مدينة من مدنهم ثم عدت اليها ، الا ورأيت صورتى وصور أصحابى منقوشة في الحيطان والكواغد ، موضوعة فى الأسواق . ولقد دخلت الى مدينة السلطان مع أصحابى ونحن فى زى العراقيين ، فلما عدت من القصر عشيا . مررت بالسوق المذكورة ، فرأيت صورتى وصورة أصحابي ، منقوشة فى كاغد قد الصقوه بالحائط ، فجعل كل واحد منا ينظر الى صورة صاحبه . لا تخطىء شيئاً من شبهه . وذكر لي أن السلطان أمرهم بذلك ، وانهم أتوا الى قصره ونحن به فجعلوا ينظرون الينا ويصورون صورنا ، ونحن لم نشعر بذلك . وتلك عادة لهم فى تصوير كل من يمر بهم . وتنتهي حالهم فى ذلك الى أن الغريب اذا فعل ما يوجب فراره عنهم . بعثوا صورته فى البلاد ، وبحث عنه . فحيثما وجد شبه تلك الصورة أخذ »

- ٢٧ -

التصوير عند الهنود

عرف التصوير في الهند كما عرف في الصين . غير انه للآن لم يهتد المحققون فى تحديد زمن ظهور تلك الصناعة فى الهند ، وهم فى شك من أن التصوير ظهر فى الهند بحال الطبيعة أو أن الهنود نقلوا صناعته عن الصين . ولكن ذلك لا يمنعنا ان نذكر للهنود الآيات البينات فى التصوير ، والمعجزات التى طالما اظهروها فى محفوراتهم الدقيقة ، ومنحوتاتهم الكبيرة والصغيرة

ويكفي الهنود فخراً ان مصنوعاتهم منتشرة بين كل الامم ، وبعضها يزين دور الغربيين الذين يتسابقون الى احراز العدد الاكبر من تلك التحف الفنية الثمينة

وفى كل جهة من بلاد الهند ، تجد تماثيل معبوداتهم منحوتة من الحجر او الرخام ، بينما تجد الصور الملونة



﴿ المعبود بوذا ﴾

مثال من الحفر على العاج عند الهنود



مثال من التصوير في الكتب

عند الهنود

والمحفورات الدقيقة في انحاء البلاد ، اما معروضة للمبيع ، أو مزدان بها في البيوت والحوانيت

قال ابن بطوطة عند التكلم عن مدينة لاهري الهندية [١]

« رأيت هنالك مالا يحصره العد من الحجارة ، على مثل صور الآدميين والبهائم ، وقد تغير كثير منها ودثرت أشكاله ، فيبقي منه صورة رأس أو رجل أو سواهما . ثم رأيت رسم دار فيها بيت من حجارة منحوتة . وفي وسطه دكانة حجارة منحوتة كانها حجر واحد عليها صورة آدمي الا أن رأسه طويل ، وفمه في جانب وجهه ، ويداه خلف ظهره كالمكتوف »

وقال أيضاً [٢] : انه شاهد في كنيسة عظيمة في مدينة دِينَوَر صنما يعرف باسم المدينة (دينور) مصنوع من الذهب على قدر الآدمي ، وفي موضع العينين منه ياقوتتان عظيمتان تضيئان بالليل كالقنديلين »

---

(١) و (٢) الرحلة ص ٧ و ١٤٠ ج ٢

« وقد جعل السلطان الهندي شمس الدين للمش أسدين مرسومين من الرخام على باب قصره ، موضوعين على برجين هنالك ، وفي عنقيهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير ، حتى أن من تجرى عليهم المظالم بالليل ويريدون تعجيل انصافهم ، يأتون ليلا فيحركون الجرس ، فيسمعه السلطان وينظر فى أمرهم للحين وينصفهم »[1]

ولو لم تكن للهنود الا تلك الصورة التى صنعوها لمولد معبودهم بوذا — وقد نوهنا عنها فى باب التصوير قبل التاريخ فى هذا الكتاب — لكانت تكفيهم فخراً . وحسب من يريد تقدير عظمة التصوير عندهم ، ان تلك الصورة أدهشت العالمين القديم والحديث ، وأن المصورين الاوربيين فى الوقت الحاضر يقتبسون من رسومها الافكار السامية والرمز البديع .

(١) الرحلة ص ٢١ ج ٢

-٢٨-

التصوير عند الفرس

عرف الفرس فن التصوير من اجيال سحيقة، واشتغلوا به آخذين صناعته عن الصين عن طريق التركستان ، وعن الهند ، ثم عن مصر بعد اغارتهم عليها

وكم ظهر ذلك الفن عندهم بجماله واتقانه ، وكم برع فيه من المصورين قبل الاسلام وبعده من فتنوا الامم وأدهشوها ببديع اعمالهم ، وحسن تفننهم ، وجمال ماأبرزوه من الصناعة الفارسية

وان كتاب كليلة ودمنة ، الذي الف على السنة الحيوان ، ونقل من الهندية الى الفارسية ، قد مثل فيه مصوروالفرس كل مشهد من مشاهده بالتصوير ، كما صوروا العدد الكثير من الكتب الفارسية غيره

وقد اكثروا من تصوير الحيوان وعمل التماثيل الممثلة

لهـا بالدقة والاتقان ، كما لم يقصروا فى شىء فى صور وتماثيل الاشخاص الاحياء

قال ابو نواس يصف كؤوسـاً مصورة من صناعـة الفرس .[١]

تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بأنواع التصاوير فارس
قراراتها كسري وفي جنباتها مهي تدريها بالقسى الفوارس

وقال السري الرفاء المتوفي سـنة ٣٦٦ هـ يصف كؤوساً أيضاً[٢]

وموسـومـة كاساتهـا بفـوارس
من الفرس تطفو فى المدام وتغرق
أقبـل منهـا كل شاك سلاحـه
وفى يـده سـهم الىّ مفوق

وقدكان اكثر فروع التصوير انتشاراً عندهم ، صناعة الرسم المصغر . فظهرت الكتب المزينة بالرسوم ، بظهور

(١) و (٢) محاضرات الادباء ص ٣٣٩ المطبعة الشرفية



(مثال من التصوير الفارسي الدقيق)



(صحيفة من كتاب عمر الخيام)

مثال من الصور الفارسي



صحيفة من كتاب عمر خيام

مثال من التصوير الفارسي

دولة المغول التي اسسها « هولاكو » حفيد «جنكيز خان»
ثم تطور التصوير الفارسى الى الطريقة التيمورية ، التى
استمدت من الصناعة الصينية

وكان التصوير مقصوراً على الاحوال الاجتماعية ،
وصور الملوك والامراء . ثم ظهرت فيه الصناعة اللينة السهلة
وتجلت فيه العواطف الرقيقة ذات البهجة الفاتنة ، واتقنت
فيه تقاطيع الوجه وتماصيله ، فى صور واضحة زاهية

وفى عهد الشاه عباس الاول ، انتقل النقش من الكتب
المخطوطة الى جدران القصور . وأول ما ابتدىء بنقشه من
ذلك كان فى اصفهان . ولكن المرجح أن روح ذلك المثال
من النقش ، مأخوذ من النقش الايطالى ، الذى اعتاد
الايطاليون رسمه على الجدران .

- ٣٩ -

التصوير عند الاتراك

فى تلك الامة الشرقية المسلمة ، ظهر فن التصوير بكل معاني الاتقان والدقة ، واشتغل به اربابه من الاتراك فى طول البلاد وعرضها ، ونبغ منهم مصورون بارعون صعدوا بالفن التركى الى اسمي مراتب الجمال ، الذي طالما تعمدوا اظهاره فى صورهم بدون أن تشوبه شائبة من الجفاء وقد عانوا الدقة فى تصويرهم ، حتى ظهرت عرائس أعمالهم بالبهجة والجمال . نذكر منهم الشيخ العارف بالله تعالى « محمود بن عثمان بن على النقاش المشتهر باللامعى » الذي زاول صناعة النقش فكان اول من أحدث السروج المنقشة سنة ٩٣٩ هـ كما نص عليه فى الشقائق النعمانية

أتقن الاتراك عمل صور السلاطين بالوان الصمغ وزلال البيض ، فحفظوا بذلك تاريخاً جليلاً لسلاطينهم وآثاراً

حميدة من أخلاق حكامهم . ولم يتركوا تصوير أحوالهم الاجتماعية ، فصوروها صوراً متقنة ، مثلوا فيها عاداتهم أحسن تمثيل — وتوجد نماذج كثيرة من ذلك بمعرض دار الكتب الملكية بمصر

وكثيرا ما ألفوا الكتب المصورة فى كل فن ، ولطالما شغفوا بالصور المصغرة فعملوا منها الكثير ، مراعين فيه صحة الرمز ، مغرمين بتركيب الالوان التى تجذب النظر بزهوها وبهجتها

وهم الآن ينافسون الامم الغربية في ذلك الفن الجميل. ويسرنا أن نذكر فى مقدمة مصوريهم وأبرعهم ، حضرة صاحب الجلالة خليفة المسلمين الحالى ، السلطان المعظم « **عبد المجيد خان** » فقد رفع شأن تركيا بين دول الفن ، بما عرضه من اعمال يديه فى متاحف أوربا ، وما أبرزه من آيات عبقريته ونبوغه في الصور الجميلة ، المعبرة عن المقدرة العظيمة والشعور الحيّ

- ٣٠ -

التصوير عند العرب

كان العرب في جاهليتهم، مع ماهم فيه من البداوة والاشتغال بسن الغارات، وبعدهم عن الصناعة الدقيقة، التي برع فيها المصريون والصينيون والهنود والفرس، يعرفون وشي الستور، ورقم الصور، والوشم، ونحت التماثيل، ودهنها بالاصباغ، ليتخذونها آلهة يعبدونها من دون الله، زاعمين انها تقربهم الى الله زلفى وكانت الكعبة معرض تلك المعتقدات الوثنية، فامتلأت بالصور والاصنام

فلما بعث رسول الله محمد صلي الله عليه وسلم. وفتح مكة المكرمة فى السنة الثامنه للهجرة، كسر الاصنام التى كانت على الكعبه وفى حديث. جعل يشير اليها صنما صنما بقضيب فى يده وهو يقول « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » فكانت الاصنام تقع اثر بعضها البعض. ودعا بماء فجعل يمحو الصور المرقومة

وقد ذكر الازرقى ان صورة عيسى وأمه عليهما السلام



(صورة على ذاهب للتضحية)

مثال من التصوير العربي في عصر الجاهلية

بقيتا في الكعبة حتى رآهما بعض من أسلم من نصارى غسان [1]

وقال عمر بن شيبة : سأل سليمان بن موسى عطاء أأدركت في الكعبة تماثيل ؟ قال نعم ادركت تمثال مريم في حجرها ابنها عيسى مزوقا [2]

ثم نهى النبي المسلمين عن نحت التماثيل وصناعة التصوير لان التصوير في ذلك الوقت كان لغاية واحدة وهي العبادة. وبالطبع ذلك مما يجب النهي عنه ، لانه مخالف للدين

ولكن لما انتشر الاسلام وتمكن من النفوس ، وعلم الناس ان عبادة الاوثان ضرب من السخف ، صار للتصوير في نظرهم معنى آخر غير العبادة . فعادوا اليه تدريجا، حتى بلغ في عهد الدولة العباسية وما بعدها من الاتقان ما أدرجه ضمن صناعاتهم الراقية

---

(١) يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما دخل الكعبة ورأي ما كان بها من الصور، وضع يده على صورة مريم وعيسى عليهما السلام وقال : امحوا كل الصور ماعدا هذه

(٢) الرحلة الحجازية ص ١١٤ ، نقلا عن كتاب بلوغ الارب في مآثر العرب ص ٦٠

-٣١-

التصوير فى الاسلام

ان الكلام فى هذا الموضوع من أهم الابحاث وأخطرها، ولو كان لدينا فراغ من الوقت، لافردنا خاصة له كتابا كبيراً يشتمل بحثاً وافياً عن تطور ذلك الفن الجميل في التاريخ الاسلامى. وعصوره الزاهرة، ولا يدع مجالا للشك فى عدم حرمة التصوير، التى تشغل الى الآن افكار العلماء والمحققين [1] ولكن بما أن ذلك باب من أبحاث هذا الكتاب. فيجب أن نتكلم عليه بقدر مايسمح لنا الايجاز، مجتهدين أن نوفى الموضوع حقه بدون تعرض للدين، فليس

(١) نلفت نظر من يهمه زيادة الايضاح في هذا الموضوع ألى كتاب « التصوير عند العرب » لمؤلفه حضرة المؤرخ البحاثة « عبد الفتاح افندى عباده » وهو كتاب جليل جمع بين صفحاته الكثيرة، وفى صوره العدة المفيسة، أوفى مايكتب فى تاريخ فن التصوير فى دول الاسلام. وسيظهر قريبا سادا فراغا عظيما في عالم التأليف، وسوف لايجد له نظيرا بين المؤلفات

لنا فى ذلك كلمة ، بعد ماسنورده من فتاوى علمائنا الامجاد .
وحسب القارىء اللبيب من مقالاتهم اطمئنانا فى ذلك الموضوع الخطير

قليل من الناس من يعلم وجود صناعة التصوير فى الافطار الاسلامية ، وانتشارها فى عصور الاسلام ، ولو انهم ليسوا على العلم التام فى ذلك . والسواد الاعظم من المسلمين يحفظون في أذهانهم ان صناعة التصوير من الذنوب العظيمة ، التى يحرمها الدين الاسلامى . ويمنع الناس من الاشتغال بها ، مراعاة لما جاء عنها من الاحاديث النبوية فى الصحيح وغيره من كتب الحديث . فيتجنبون صناعتها اطاعة لذلك — ولكن بعض العلماء ، رأوا ان تلك الاحاديث انما جاءت فى أول نشأة الاسلام [1] وقالها النبى صلى الله

(١) لم يكن الاسلام متمكنا من النفوس فى أول ابتدائه ، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صناعة الصور فى ذلك الوقت . خوفا من رجوع العقول الي القديم ، فتؤثر الصور والتماثيل فى شريعتهم بدليل قوله لعائشة رضى الله عنها فى امر الكعبة « لولا ان قومك حديثو عهد بالاسلام لهدمت الكعبة وألزقتها بالارض ،

عليه وسلم تحذيراً من اتخاذ الصور للعبادة كما كانت حال العرب قبل بعثته، لان ذلك مخالف للدين، بسبب شغله عن عبادة الله تعالى، فكان نهيه عن اتخاذ الصور، لهذه الوجهة. على أنهم لم يروا في القرآن الكريم آية تدل على حرمة التصوير الا انهم استنكروا صناعة التماثيل لقربها من هيئة الاصنام والاوثان.

وقد صنعت الصور المرقومة فى بداية القرن الاول الهجرى، ثم انتشرت الصناعة في البلاد، فاستعدت العقول لملاقاتها، ورحبت الصدور بها، فرأى التصوير فى الاسلام ازهي عصوره وأزهرها، وتفنن ارباب صناعته فيه فأبلغوه شأواً عظيما من الجمال، واصعدوه اسمى مراتب الرقى واستنبطوا فيه فنوناً جديدة حفظها لهم التاريخ، فضلا عن ان الكثير من المؤرخين اتفقوا على ان صناعة الاسلام كانت أساسا لترقية الفن الايطالى المعروف.



﴿ مثال من التصوير الاسبانى الدينى ﴾

ومن يدقق البحث فيه يجده مقارباً تماما لروح التصوير الاسلامي المتمثلة فى الصور الآتية بعد

كانت الفنون الجميلة عند العرب تعرف بالاداب السامية الرفيعة ، وهي : الشعر ، والموسيقى ، والتصوير . وكان النابغ في أحد هذه الفنون يذيع صيته في البلاد في طولها وعرضها ، ويصبح أشهر من النار فوق العلم

ولم تكن الفنون الجميلة عندهم مقتصرة على عشاقها ، محصورة في أربابها ، بل كان يشاركهم في التمتع بجمالها العامة وتحضر أنديتهم الناس من مختلف الطبقات ، يتنورون بمعلوماتهم ، وينهلون من ورد أفكارهم وخيالاتهم . وكان يعضدهم الخلفاء والملوك والوزراء والأمراء ، ويشجعهم كبار رجال الاسلام ، ويعجبون بمبتكراتهم ، ويطربون بأعمالهم

وكما أن الشعر رأى في مدتهم أزهى مايصل إليه الفن الجميل من الرفعة ، فان التصوير لاقى عصوراً زاهرة ، وبلغ مدى التقدم والنجاح . فقد أقبل عليه أربابه واعزوه اعزازاً أنتج فيهم أفكاراً نقية ، وعقولا كبيرة ، سارت

بالامة العربية نحو الحضارة ، وخطت بها خطوة واسعة في المدنية

لم يجهل العربي وهو صاحب النفس الساذجة الوديعة، والوجدان الشعري الرقيق ، أن التصوير شعر صامت ، وأن الانسان كما يعبر عن حالة ضميره، وجدانه بالشعر يمكنه أن يعبر عنها بالتصوير ، فيصور مايقوم فى نفسه من المعانى صوراً هي شعوره وعواطفه ، ورسوم مصغرة من وجدانه ونفسيته

وان منظومات العرب فى الوصف والنسيب هي صور حقيقية ، صورها خيالهم الرقيق صوراً « تسمع ولكنها لا تري » وكذلك كان الشعر العربى تصويراً والشعراء مصورين

واذا تتبع المصور شعر العرب ، وقرأ وصفهم لحادثة من الحوادث ، لارتسمت بخياله تلك الصورة التى أوحاها إلى الشاعر وجدانه ، ولمثلت أمام مخيلته بحقيقتها ، فاذا تناول

قلمه طبعها على صفحات الورق صورة لا تقل بلاغة وتعبيراً عن كلمات الشاعر ووصفه.

انتشر التصوير في البلاد العربية من ابتداء القرن الاول الهجرى — ولو أن العقول انصرفت عنه فترة من الزمان بعد تحذير النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين من اتخاذ الصور كما بينا ـ وابتدءوا يصنعون صور الاشخاص والمناظر وأشكال البلدان والحيوان، على صفحات الكتب وفوق جدران البيوت والقصور، فضلا عن استعمالهم التصوير فى نقش النقود، ورقم الستور، وتزويق الاوانى وزركشة الأثاث

وقد قال الاستاذ المستشرق «كليمان هوار».
لا يعرف المرء بماذا يعجب من صناعة مزج الذهب بالالوان بدقة الرسم ولطفه، أو بالذوق السليم الذى أوجد الوفا من التراكيب المزينة الهندسية

والعرب أول من وشي المنسوجات وزركش الاقمشة

الحريرية والكتانية ، وعنهم نقل هذه الصناعة الهولنديون فراجت صناعتها فى الأقطار الغربية .

وقد اشتغل العرب بالنقش والتصوير والنحت، وعملوا الاصباغ الزاهية ، ومزجوها في صورهم بزلال البيض أو الصمغ أو الزيت . وكانوا يتقنون نسب تركيبها وتكوينها والتلوين بها، وذكروها في أشعارهم ، وتمثلوا بها فى وصفهم

ولنبحث الآن فى تاريخ التصوير فى الاسلام ونتكلم عليه بالتفصيل على قدر الامكان

الاطوار التي تقلب فيها التصوير الاسلامى

تقلب التصوير فى الاسلام فى أطوار مختلفـة، متتبعاً سير السيـاسة فى معظم الاحيـان ، سائراً مع الحضارة جنباً لجنب

وقد تقسم هذه الاطوار الى ما يأتى :

(١) طور الاقتباس والتقليد . ويشتمل عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأَموية وأوائل العباسية

(٢) طور الممارسة والابتكار ويشتمل عصر العباسيين بالعراق وعصر ابن طولون بمصر

(٣) طـور الرقي والأبداع. ويشمـل عصر الدولة الفاطمية بمصر

(٤) طور الانحطاط. ويبتدىء من القرن السابع الهجرى الى القرن العاشر

(١) كانت صناعة التصوير في أول الامر لا تتجاوز حد الاقتباس والتقليد ، حيث كان العرب يقلدون ما كان بين أيديهم من صناعة اليونان والرومان ، ويقتبسون منها دروساً ساعدتهم على ممارسة فنهم ، وانتاج صناعة جديدة عرفت بالصناعة العربية . وقد كانت الحروب الطويلة والفتوحات لنشر الدين الاسلامي مما يشغل قرائح العرب عن التصوير والفنون الجميلة عامة التى بقيت فى ذلك الوقت في أيدى الأمم الخاضعة لهم . على أنهم وإن كانوا قد تركوا التصوير ، لم يأنفوا من استخدام المصورين من الاجانب واستيراد الاقمشة المصورة والمزركشة من الامم الأخرى

(٢) ولما تقدمت المدنية العربية بعد ذلك ، تقدم معها فن التصوير ، فابتدأت تنظر إليه العقول ببعض العناية ، وتقلب في طور الممارسة والابتكار ، حيث استقلت العرب بصناعته ، فاستعدت الأمة لاحتضانه ، واجتهدت في ترقيته وإنهاضه . وقد انتشر فى عصر أحمد بن طولون بمصر



صورة جند عربي خارج الى الحرب بجماله وأفراسه وأبواقه

رسم في القرن السابع الهجري

حتى نافس الشعر ، وسار إلى بلاد المغرب والأندلس فلاقي عصوراً زاهرة ونجاحا كبيراً

(٣) وفى عصر الدولة الفاطمية، زها فن التصوير وبلغ درجة عالية من الجمال ، ونبغ فيه مصورون كثيرون ،صوروا الخلفاء والقواد والشعراء وكبار الدولة صوراً حقيقية . وقد حل التصوير محل كل شيء ، وأدخل فى الزخارف العربية أشكال الناس والحيوان . ولا غرو أن يسمي هذا العصر بطور الرقى والابداع .

(٤) ولكنه ابتدأ في التأخير والانحطاط من النصف الاخير من القرن السابع الهجرى ، ومرت عليه سنين لم يكن فيها شيئاً مذكوراً . الا أنه فى القرن العاشر ابتدأ ينهض نهضة ضعيفة ، حتى انتعش قليلا فى القرن الحادى عشر والثانى عشر . وكان آخر مشهد من مشاهد بهائه فى القرن الثالث عشر

التصوير على النقود

كان العرب فى أول أمرهم يضربون نقودهم خارج الاقطار العربية ، حيث لم تكن تعرف السكة بعد . وكانوا ينقشون على أحد أوجهها صوراً ، مقلدين فى ذلك الروم والعجم ، ثم ضربوها داخل مملكتهم ، ولم تكن تخلو أيضاً من الصور المختلفة ، التى كانت عادة تمثل الخلفاء والملوك

وقد جاء فى رسالة النقود الاسلامية للمقريزى : أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب نقوداً على شكل الكسروية (أى عليها صورة على شكل النقود الفارسية) غير أنه زاد فى بعضها « الحمد لله » وفى بعضها « محمد رسول الله » وفي بعضها « لاآله الا الله وحده »

وعلى هذا الشكل ضرب أمير المؤمنين عثمان بن عفان نقوده ، غير أنه نقش عليها « الله اكبر »

وضرب معاوية دنانير عليها تمثال متقلداً سيفاً

وقد جاء فيها أيضاً : ان عبد الملك بن مروان ضرب بعد ذلك نقوداً نقش عليها صورته اهـ

وقد وجد فى خزانة جعفر بن يحيى دنانير فى كل دينار مائة مثقال ومثقال ، قد نقشت عليه صورته كما يظهر ذلك فى البيتين المنقوشين عليه ، وهما

واصفر من ضرب دار الملو ك يلوح على وجهه جعفر
يزيد على مائة واحداً اذا ناله معسر يوسر [1]

وقد حكى ابن لبيب غلام ابى الفرج الببغا . أن سيف الدولة كان قد ضرب دنانير للصلات ، في كل دينار منها عشرة مثاقيل وعليه اسمه وصورته، فأمر لأبى الفرج منها بعشرة دنانير ، فقال ارتجالا :

نحن بجود الامير فى حرم نرتع بين السعود والنعم
أبدع من هذه الدنانير لم يجر قديماً فى خاطر الكرم
فقد غدت بأسمه وصورته فى دهر ناعوذة من العدم [2].

(١) محاضرات الادباء ص ٢٤١
(٢) يتيمة الدهر ص ١٢ حـ ١

وحدث ابو الحسن العروضى مؤدب الخليفة الراضى بالله العباسى قال : صنع الامير بجكم التركي احد امراء الخليفة العباسى الراضى بالله — دنانير ودراهم ، فى الدينار نحو من مثاقيل ، وفى الدرهم كذلك ، عليه صورة بجكم شاك فى سلاحه وحوله مكتوب

انما العز فاعلم للامير المعظم

سيد الناس بجكم

ومن الجانب الآخر الصورة بعينها جالس في مجلسه كالمفكر المطرق .(١)

التصوير على الستور

استعمل العرب الستور بمثابة لوحات التصوير . وكانوا فى الجاهلية يتخذون عليها صور معبوداتهم ، ويعلقون ما يستحسنون منها على بناء الكعبة ، حتى منع ذلك النبى صلى الله عليه وسلم . وقد رأى مرة عند السيدة عائشة

---

(١) مروج الذهب ٣٧٥ ج ٢

ستراً منها ، فغضب وأخذه فقطعه ، واستعمل منه وسادة

وقد نقل الامام الزرقاني عن ابن سعد أن عائشة رضى الله عنها قالت : فضلت على نساء النبي بعشر : من جملتها أن جبريل جاء بصورتى من السماء في حريرة [١]

انتشرت الستور المصورة فى الاسلام ، ورقم العرب عليها بالاصباغ الصور المختلفة ، التي مثلت حياتهم الاجتماعية ووشوا عليها صور الزهور والجنات والطيور والحيوانات ، ونقشوا عليها مشاهد المراقص والقنص والصيد

ذكر الجاحظ فى كتاب الحيوان أبياتاً لأحد الملحين فيها ذكر ستر مصور بأنواع الصور . وهي

أرادت مرة بيتاً لها فيه تماثيل
فلما أبصرت ستراً لوجهيه تهاويل

---

(١) روي ذلك أيضاً البخاري ، ومسلم ، والترمذى ، وذكر الاخير أن جبريل جاء للنبى صلي الله عليه وسلم بصورتها فى خرقة حرير خضراء وقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة

وفيه الفيل منقوشاً وفى خرطومه طول
قالت انزعوا الستر لا يأكلنى الفيل

ووصف أبو الطيب المتنبى ستوراً مصورة فقال

نافست فيه صورة فى ستره لو كنتها لخفيت حتى يظهرا
لا تترب الايدى المقيمة فوقه
كسرى مقام الحاجبين وقيصرا

وقال أبو العلاء المعرى، وقد كتب على ستر فيه صور تمثل الطير

الحسن يعلم أن من أورثته قمر تستر فى غمام أبيض
غشى الطيور غوافلا فتحدثت منه فلم تبرح ولم تتنفض

وذكر المقريزى فى خططه، : أنه مما صار الى نخر العرب مقطع من الحرير الازرق التسترى القرقوبى، غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر الوان الحرير، كان المعز لدين الله أمر بعمله سنة ٣٥٣ ه، فيه صورة أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومسالكها، شبه جغرافيا. وفيه



(التصوير على الستور)
مثال من صناعة الوشى

صورة مكة والمدينة مبينة للناظر ، مكتوب علي كل مدينة وجبل ونهر وبحر اسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير (١)

وذكر أيضاً : أنه لما اشتد القحط في مصر في عهد الخليفة المستنصر الفاطمي ، بيعت ذخائر الخزائن لتنفق على أعوانه وجيشه ... فكان مما أخرج من خزائن الفرش من الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف انواعها وأطوالها ، عدة مئين تقارب الألف ، فيها صور الدول وملوكها والمشاهير فيها ، مكتوب على صورة كل واحد اسمه ومدة أيامه وشرح حاله ، (٢)

واتخذ العرب الصور أيضاً على الحصر وعلى الطنافس وكانوا يعلقونها كما يعلقون الستور فوق الحيطان ، وسميت بالحائطية نسبة إلى ذلك، وقد استعملوها للزينة والتجمل فى البيوت والقصور ، وعنهم أخذ الفرنجة ذلك ونقلوه الى بلادهم

(١) و (٢) المقريزي ص ٤١٧ ج ١

التصوير على الثياب

لهذا النوع من التصوير تاريخ قديم عند العرب ، فقد عرف عندهم فى الجاهلية ، وكان مألوفاً بينهم ، بدليل ماورد عنه فى اشعارهم ،حيث قال امرؤ القيس

خرجت بها تمشى تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرجل

أى عليه صور الرجال

وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وعليه مرط مرحل . وفى حديث عائشة وذكرت نساء الانصار فقامت كل واحدة إلى مرطها المرحل. ومنه الحديث كان يصلي وعليه من هذه المرحلات . وفى حديث حتى يبنى الناس بيوتاً يوشونها وشى المراحل (يعنى تلك الثياب)[١] ويقال لها أيضاً الراحولات. قال الفرزدق

عليهن راحولات كل قطيعة
من الخز أو من قيصران علامها

(١) لسان العرب فى مادة رحل

وكان يقال لذلك النوع من الوشي الترحيـل . وكان الثوب يسمى بالمرحـل أو المرجل أو المسيف أو المسهم أو المخيل أو المطير أو المكعب أو المعرض أو المهلل أو المطبل أو المعضد أو المشجر ، لما كان مصور فيه من صور الرحال أو الرجال أو السيوف أو السهام أو الخيول أو الطيور الخ

قال أوس

فانا رأينا العرض أحوج ساعـة

إلى الصون من ريط يمان مسهم

وقال السلامى يصف معركة لعضد الدولة

والجو ثوب بالنسور مطير والارض فرش بالجياد مخيل

وقال البعيث

وأبقى طوال الدهر من عرصاتها

بقيـة أرمام كأردية الطبـل

وقال المتنبي

نفس المهارى غير مهري غدا بمصور لبس الحرير مصورا

هـذا وقد كانت توجـد معامـل لصنع تلك الثياب في البهنسة وقلمـون وتنيس ودمياط واسكنـدرية ودابق ودمشق

وفي دار الآثار العربية رسمان قديمـان من الخشب مما كان يستعمله العرب لطبع الثياب بأنواع الصور.

وقد بقي لنا إلى الآن قطعتان من الثياب محفوظتان بدار الآثار . عثر على إحداهما فى قبر فى الصعيد، وهى بقية ثوب من الحرير الأخضر المخطط بالصفرة ، عليها صـور طيور وأنواع من الحيوان . والاخرى من الـكتان الملون عليها زخارف وصور حيوان من ذوات الاربع

التصوير على الخيام

صور العرب على المضارب والخيام كما صوروا على الستور والثياب.

وقد قال المتنبي يصف فازة لسيف الدولة ، وهي القبة والخيمة ، مصورة بالصور المختلفة

وأحسن من ماء الشبيبة كله
حيا بارق فى فازة أنا شائمه
عليها رياض لم تحكها سحابة
وأغصان دوح لم تغن حمائمه
وفوق حواشي كل ثوب موجه
من الند سمط لم يثقبه ناظمه
ترى حيوان البر منسرحا بها
يحارب ضد ضده ويسالمه

إذا ضربته الريح ماج كأنه

تحول مذاكيه وتدأى ضراغمه . اهـ

ونقل عن أبى الحسن على بن الحسن الخيمى : أن من ضمن ما وجد من أنواع الخيم فى خزائن الفاطميين فسطاطا كبيرا قد صور فى رفرفه كل صورة حيوان فى الارض وكل عقد مليح وشكل ظريف[1]

(١) المقريزى ص ٤١٩ حـ ١

التصوير على الاقداح والاوانى

أجمل ماحفظه التاريخ من صناعة الاصباغ البديعة والالوان الزاهية البراقة فى أنحاء المملكة العربية ، هو ما بقى لنا من قطع الخزف فى دور الآثار المختلفه

وقد كان العرب يصورون على ذلك الخزف الصور المتنوعة بالأصباغ ، ولا ريب أنهم أخذوا تلك الصناعة عن قدماء وادى النيل والفرس والرومان

وكانوا يغالون فى وضع الوان الخزف بما يدهش النظر ويبهر العين ، وأبدعوا فى نقش الاقداح والاوانى بالوان الميناء البديعة الزاهية

قال بعض الشعراء يشبه بالاقداح المصورة

أغمام ما يدريك ما أفعالنا
والخيل تحت النقع كالأشباح
تطفو وترسب فى الدماء كأنها
صور الفوارس فى كؤس الراح

وقال أبو نواس يصف كؤساً مصورة

بنينا على كسرى سماء مدامه جوانبها محفوفة بنجوم

فلو رُد فى كسرى بن ساسان روحه

اذاً لاصطفانى دون كل نديم

وقال ابن المعتز

بدا والصبح تحت الليل داح

كطرف أبلق مرخى الجلال

بكاس من زجاج فيه أسد

فرائسهن ألباب الرجال

وقال أبو الفرح الببغا يصف فأرة (اناء يوضع فيه المسك) مصورة

انظر الى صورة لوانها علمت بمن تسبه لم تظهر لبانيها

ترى الملوك وقوفا حول مالكها

وعدة الدولة المأمول يعليها

وقال أيضا يصف شرابا فى قدح ازرق فيه صور

كضمة الظلام فى عنقى بجمع شمل وضم معتنق

وكم صباح للراح أسلمنى من فلق ساطع الى فلق
فعاطنيها بكراً مشعشعه كأنها فى صفائها خلقى
فى أزرق كالهواء يخرقه اللحـ
ـظ وان كان غير منخرق
كأن أجزاءه مركبـة
حسنا ولطفا من زرقة الحدق
مازلت منه منادما لعبا مذ سكرتها السقاة تفتق
تختال قبل المزاج فى زرق الفجـ
ـر وبعد المزاج فى الشفق
تغرق فى أبحر المدام فيستنـ قذها شربا من الغرق
فلو ترى راحتى وزرقـه
من صبغها فى معصفر شرق
لخلت أن الهـواء لا طفى
بالشمس فى قطعة من الشفق. اهـ
هذا وقد كان الفضـل الاكبر فى اظهار مجـد صناعة
الخزف الاسلامية لحضرة العالم الاثارى على بهجت

امين دار الآثار العربية ، حيث اكتشف مدينة الفسطاط وأظهر دفائن كنوز تلك الصناعة ، وقد عثر فى جملة اكتشافاته فى اطلال المدينة على الأفران التى كانت تصنع فيها الاوانى الخزفية ، فحفظ له التاريخ بذلك فضلا وفخراً

وقد نقلت آثار نفائس الخزف التى عثر عليها فى مدينة الفسطاط الى دار الآثار العربية ، وفيها مجموعات مختلفة من المصابيح الزجاجية والخزفية المزخرفة وكثير من قطع الخزف المصقول البراق الملونة جميعها بالالوان الزاهية، المصورة بأنواع الصور من الانسان والحيوان والنبات ، وعلى بعضها اسماء صناعهـا وتاريخ صناعتها ، وهى بقايا أوان خزفية وأباريق وأقداح عربية

وفى دار الآثار مشكاة عليها اسم السلطان محمد بن قلاون وبين زخارفها كثير من صور الطيور المتقنة الرسم، ومشكاة اخرى بديعة الزخرفة والتذهيب عليها صور طيور مختلفة كتب عليها « مما عمل برسم المقر العالى السيفى الملك الناصرى» وقطعة من كرة تعلق على مشكاة عليها صور الطيور ايضا

وأناء عليه صورة فارس، وقطعـة من غضار عليها عصابة بالخط الـكوفى وبأسفلها صورة تيسين يتناطحان ، وكثير من الاوانى والطاسات والصوانى المصورة بأشكال الحيوان والطيور والتنانير المنقوشة بصور الانسان، منها قمقم للعطر من الصفر المـكفت بالفضة عليه صورة جماعة يضربون على آلات الطرب، وجرة من خزف كبير مدهونة بمينا تنعكس فيها الاضواء مرسومة عليها صورة تمثل السمك من عهد الفاطميين قومت فى هذه الايام بما ينيف عن ١٠٠٠ جنيه

التصوير في المساجد

من أغرب ما حفظه التاريخ الاسلامى وجود صور الاحياء على جدران المساجد الاسلامية ، فان ذلك يدعو للريب فى أمر تحريم التصوير الذى يجاهر به البعض . وان السماح بمثل هذه الصور فى المساجد ، وهى موضع اقامة الشريعة الاسلامية . لدليل على رضاء الدين بها وشدة رغبة الناس فيها . ولم تصلنا معارضة لعلماء الدين القدماء فى أمر تلك الصور ، وقد أقيمت فى مساجد متعددة ، نذكر منها « جامع دمشق » الذى وصفه الشيخ شمس الدين المقدسى وكان قد زاره فى سنة ٣٧٥ هـ فقال . أن حيطانه كانت مبلطة الى قامتين بالرخام المجزع ثم الى السقف بالفسيفساء الملونة المذهبة ، فيها صور أشجار وأمصار وكتابات على غاية الحسن والدقة ولطافة الصنعة ، وقل شجرة أو بلد مذكور الا وقد مثل على تلك الحيطان :

وقال صاحب محاسن الشام فيه أيضاً : أن الرخام كان فى جدران الجامع سبع وزرات ومن فوقه صفات البلاد

وما فيها من العجائب ، وأن الكعبة المشرفة وضع صفاتها فوق المحراب ، ثم فوق ذلك البلاد يميناً وشمالا وما فيهامن الأشجار المثمرة والمزهرة : — هذا وقد ذكر الجامع « ابن جبير » « وابن بطوطه » فى رحلتيهما بمالا يقل عن ذلك الوصف

وكذلك « جامع عبد الملك » الذى بناه فى القدس . فان داخله كان مزينا بالنقوش المختلفه والرسوم البديعة

وقد ذكرت جريدة « لغة العرب » فى عددها الصادر بتاريخ سبتمبر سنة ١٩١١ فى مقال فى آثار سامراء (سر من رأى) التى بناها المعتصم العباسى فى أوائل القرن الثالث الهجرى بالقرب من بغداد . خبر اكتشاف جليل قام به حضرة العالم البحاثة الدكتور هر تسفيلد فى تلك المدينة الاثريه فقالت :

« ..... وأول ماشرع به فى سامراء كان رفع كل مايغشى الجامع الاعظم الذى بناه المتوكل على الله والمنارة الغريبه البناء الموجودة فيه . وهى المنارة المعروفة باسم « الملوية »

« وبعد ما ظهر للعيان صحن الجامع ، بانت كل البناية الداخلية وعمد الرخام وما يزينه فى الداخل ، من نقوش مطبوعة ، وتصاوير ملونة ، وفسيفساء »

« ولقد دقق الدكتور هر تسفيلد نظره فى بعض دور الخاصة المجاورة للمدينة ، فاذا هو أمام مدينة مدفونة فى الشرق دفن بمباى فى الغرب . ووجد غرفاً وحجراً وردهات قد زينت جدرانها وغشيت حيطانها بتصاوير شرقية ، منقوشة نقشاً بارزاً أو غائرا فى الجص ، وهى فى غاية البهاء والجمال ، وكلها محفوظة أحسن الحفظ ، كأن البناة غادروها قبل أن يدخلها أهل البحث . هذا ولا ترى النقش على الجص فقط ، بل أنك تشاهد تصاوير ملونة فى مواضع الجص الفارغة من النقوش . وهناك أيضاً تصاوير مختلفة الالوان ، وصور اناس كلها ملونة على أبدع مثال . وهو أمر فى غاية الندرة فى تاريخ الصناعة الاسلامية »

وقال المقريزى عند ذكر جامع الفيلة الذى انشأه الافضل شاهنشاه بن بدر الجمالى فى أواخر القرن الخامس

الهجرى ما نصه :

وانما قيل له جامع الفيلة لأن فى قبلته تسع قباب فى اعلاه ذات قناطر اذا رآها الانسان من بعيد شبهها بمدرعين على فيلة كالتى تعمل فى المواكب أيام الاعياد وعليها السرير وفوقها المدرعون ايام الخلفاء

***

التصوير على الجدران

قد يسير بنا الكلام فى هذا الموضوع الى ذكر المساجد والقصور والبيوت ، حيث يشمل عنوان التصوير على الجدران جميع الابنية القائمة . ولكنا افردنا لكل من ذلك عنوانا خاصا .

قال ابن حمديس الصقلي يصف ايوانا فى دار بناها المعتمد على الله (فى القرن الخامس الهجرى) ويذكر جدرانه المصورة

نسيت به ايوان كسرى لانى
أراه له مولى من الحسن لا مثلا

كأن سليمان بن داود لم تبح

مخافتــه للجن فى صنعه مهــلا

ىرى الشمس فيه ليقة تستمدها

ا كف أقامت من تصاويره شكلا

لهاحركات أودعت فى سكونها

فما أتبعت فى ىمابن يد رجلا. اه

وذكر فى نفح الطيب : أن عبـد الرحمن الناصر نى الزهراء وجعلها مسكنا للزهراء جاريته ، وسماها باسمها. ونقش صورتهاعلى الباب . اه

وقال الشريف ابو عبـد الله محمد الجوانى فى كتاب النقط على الخطط . أن الخليفة الآمر بأحكام الله ، بنى على المنظرة التى قـال لها بئر دكة الخركة منظرة من خشب مدهونة ، فيهـ طاقات تشرف على خضرة بركة الحبش ، وصور فيها الشعراء ، كل شاعر وبلده . واستدعى من كل واحـد منهم قطعة من الشعر فى المـدح وذكر الخركاة ، وكتب ذلك عند رأس كل شاعر ، وبجانب صورة كل منهم



مجلس القضاء في غرناطة
نقلا عن أطلال الحمراء

رف لطيف مـذهب . فلما دخل الآمر وقرأ الأشعار ، أمر أن يحط على كل رف صرة مختومة فيها خمسون ديناراً ، وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرته بيده ، ففعلوا ذلك وأخذوا صررهم وكانوا عدة شعراء [١]

وقد بنى الملك الاشرف خليل بن قلاون الرفرف بالقلعة ، وجعله عاليا يشرف على الجيزة كلها ، وبيضه ، وصور فيه أمراء الدولة وخواصها ، وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها ، وكان مجلساً يجلس فيه السلطان [٢]

وعثر فى اطلال الحمراء بغرناطة فى الاندلس على صورة تمثل مجلس قضاة عربى ، يظن انها من آثار القرن الثامن الهجرى

وذكر المقتطف خبر جماعة من الانجليز ذهبوا الى أسبانيا وزاروا خرائب الزهراء ، فرأوا بين حجارتها

(١) المقريزى ص ٤٨٦ ج ١

(٢) المقريزي ص ٢١٢ ج ٢

حجارة عليها نقوش كثيرة من صور الحيوان [١]

***

التصوير في البيوت

أدخل العرب التصوير فى بيوتهم ، وكانوا يزينونها بالصور والتماثيل كما تزد ان بها قصور الافرنج الآن

قال ياقوت على بن هلال الكاتب المعروف : بنى المتوكل قصر المختار فى سامراء ، وكان فيه صور عجيبة ، من جملتها صورة بيعة فيها رهبان ، وأحسنها صورة شهار البيعة . قال . وقد دخله الواثق وشرب فيه وأعجبته تلك الصور ، فأخذ سكيناً لطيفا وكتب على حائط البيت.

ما رأينا كبهجة المختار لا ولا مثل صورة الشهار

مجلس حف بالسرور وبالنر

جس والآس والغناوالزمار . اه

وقال بعضهم فى وصف بيت مصور بانواع التصاوير .

فيه الغواة مصورو ن فحاجل منهم وراقص

---

(١) المقتطف مجلد ٣٨ ص ١٣٦

والفيل يرتكب الردا ف عليه والاسدالقصافص . اه

وحكى على بن البطريق : أنه حضر عند البجلى ناظر الضرب والجيش فى بغداد فى وليمة عملها لاجل دار عمرها، فلما خرج سأله بعضهم عن وصف الدار فقال :

دار السراج مليحة فيها تصاوير بمكنة
تحكى كتاب كليلة فتى أراها وهى دمنة

وكان الملوك والخلفاء وكبار رجال الدولة يملأون قصورهم بالصور المختلفة ويغالون فى ذلك ويباهون به ، كخمارويه ابن احمد بن طولون الذى غشى جدران قصره بالصور الجميلة وأفعم غرفاته بالتماثيل ، والمعز لدين الله الفاطمى والوزير البازورى

وقد نقل المقرى فى نفح الطيب . أن أبا الصلت أمية ابن عبد العزيز الاندلسى ، قال يصف قصراً بمصر يسمي منزل العز ، بناه حسن بن على بن تميم بن المعز فى القرن الخامس الهجرى

منزل العز كاسمه معناه لاعدا العز من به سماه

فأجل فيه لحظ عينيك تبصر

أى حسن دون القصور حواه

سال في سقفه النضار ولكن

جمدت في قراره الامواه

وبأرجائه مجال طراد

ليس تنفك عن وغى خيلاه

تبصر الفارس المدجج فيه

ليس تدمى من الطعان قناه

وترى النابل المواصل للنز

ع بعيدا عن قرنه مرماه

وصفوفا من الوحوش وطير الجو كل مستحسن مرآه

حركات تخالها سكنات

واختلاف كأنه أشباه

وقال أبو طالب عبد السلام بن الحسين المأمونى، من قصيدة يصف فيها داراً بناها أبو مضر بن أبى زيد عند تقلده الوزارة

يا أبا نصر الذى نصر الملـــك فأنسي المنصور والسفاحا

ضاقت الارض عنده فارتدت ربه

كأيسع البحر والحيا والسماحا

بهوها يملأ العيون بهاء صحنها يملأ الصدور انشراحا

شيدها فضة وقرمدها تبـــر وقد امتيح من نداك امتياحا

وثراها من عنبر شيب بالمســك فان هبت الصبا فيه فاحا

شابه النقش فرشها مثل ما شا به ولدانها دماها الصباحا

وكأن الستور قد نشر الطا وس منها فى كل باب جناحا

وكأن الجامات فيها شموس اطلعتها ذرى القباب صباحا

وقال محمد بن عاصم الموقفى من قصيدة يصف فيها دير القصير

ان دير القصير هاج ادكارى لهو أيامى الحسان القصار

اذ صعودي على الجياد اليه

وانحدارى فى المعقبات الجوارى

بصقور الى الدماء سوار
وكلاب على الوحوش ضوارى

منزلا فى علوه كسماء والمصابيح حوله كالدراري
غردت بينها الطيور فطارت بفؤاد المتيم المستطار
كم شربنا على التصاوير فيه بصغار محثوثة وكبار
صورة من مصور فيه ظلت فتنة للقلوب والابصار
أطربتنا من غير شدو فأغنت عن سماع العيدان والمزمار

لا وحسن العيتين والشفة اللمـ
ياء منها وخدها الجلنارى

لا تخلفت عن مزارى ديرا هى فيه ولو نأى بى مزارى

فسقى الله أرض حلوان فالنخـ
ل فدير القصير صوب العشار

نما هذه الحياة عوار وعلى المستعير رد العوارى

ووصف ابن حمديس الصقلى داراً بناها المنصور ابن اعلى الناس ببجاية من افريقية . قال . من قصيدة طويلة

أعمر بقصر الملك ناديك الذي أضحى بمجدك بيته معموراً

لوأن بالايوان قو بل حسنه　　ما كان شيئاً عنده مذكورا

أعيت مصانعه على الفرس الأُلى

رفعوا البناء وأحكموا التدبيرا

ومضت على الروم الدهور ومابنوا

لملوكهم شبهاً له ونظيرا

فلك من الافلاك الا أنه　　حقر البدور فأطلع المنصورا

واذا الولائد فتحت ابوابه　　جعلت ترحب بالعفاة صريرا

عضت علي حلقاتهن ضراغم　　فغرت بها افواهها تكبيرا

فكأنها لبدت لتهصر عندها

من لم يكن بدخولها مأمورا

وضراغم سكنت عرين رئاسة

تركت خرير الماء فيه زئيرا

فكأنما غشى النضار جسومها　　واذاب في افواهها البلورا

أسد كأن سكونها متحرك

في النفس لو وجدت هناك مثيرا

وتخالها والشمس تجلو لونها　　ناراً وألسنها اللواحس نورا

فكأنما سلت سيوف جداول

ذابت بلا نار فعدن غديرا

وبديعة الثمرات تعبر نحوها عيناى بحر عجائب مسجورا

شجرية ذهبية نزعت الى سحر يؤثر فى النهى تأثيرا

قد صوبحت أغصانها فكأنما

قبضت بهن من الفضاء طيورا

وكأنما تأبى لوقع طيرها ان تستقل بنهضها وتطيرا

من كل واقعة ترى منقارها ماء كسلسال اللجين نميرا

وكأنما فى كل غصن فضة

لانت فارسل خيطها مجرورا

ومصفح الابواب تبراً نظروا

بالنقش فوق شكوله تنظيرا

تبدو مسامير النضار كما علت

تلك النهود من الجنان صدورا

واذا نظرت الى عجائب سقفه

أبصرت روضاً فى السماء نضيرا

وعجبت من خطاف عسجده التى
حامت لتبنى فى دراه وكورا
وضعت له صناعها اقلامها
فأرتك كل طريدة تصويرا
وكأنما للشمس فيه ليقة
مشقوا بها التزويق والتشجيرا
وكأنما اللازورد فيه مخرم
بالخط فى ورق السماء سطورا
وكأنما وشوا عليه ملاءة
تركوا مكان وشاحها مقصورا

التصوير على الاثاث

قال أحد شعراء الشيعة ، من أرجوزة يعدد فيها كرامات الامام علي الهادي المتوفى سنة ٢٥٤ هـ

رأى الامام صوراً منقوشة في فرش في مجلس مفروشة
وكان في ذلك صورة الاسد وثم هندي على القول الاسد

وقال ابن زولاق في كتاب سيرة المعز لدين الله الفاطمي .

« .... وهيئت المقصورة في منظرة السكرة برسم راحة الخليفة وتغيير ثيابه . وقد وقعت المبالغة في تعليقها وفرشها وتعبيتها وقدمت بين يديه (المعز لدين الله) الصواني الذهب ، التي وقع التناهي فيها من همم الجهات من أشكال الصور الآدمية والوحشية من الفيلة والزرافات ونحوها ، المعمولة من الذهب والفضة والعنبر والمرسين المتدود المظفور عليها ، المكلل باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، من الصور الوحشية ما يشبه الفيلة ، جميعها عنبر معجون كخلقة الفيل ، وناباه فضة ، وعيناه جوهرتان كبيرتان في

كل منها ذهب مجرى سواده ، وعليه سرير منجور من عود بمتكآت فضة وذهب ، وعليه عدة من الرجال ركبان وعليهم اللبوس تشبه الزرديات ، وعلى رؤسهم الخود ، وبأيديهم السيوف المجردة والدرق ، وجميع ذلك فضة . ثم صور السباع منجورة من عود ، وعيناه ياقوتتان حمراوان وهو على فريسته ، وبقية الوحوش ، وأصناف تشد من المرسين المكلل باللؤلؤ شبه الفاكهة — اه [1]

وقال المقريزى في خططه [2] : مما وجد لعبدة بنت المعز التي توفيت سنة ٤٤٢ هـ ، أجاجين صينى كبار محلاة ، كل اجانة منها على ثلاثة أرجل ، على صورة الوحوش والسباع . . . وأخرج من تماثيل العنبر ٢٢ ألف قطعة . أقل تمثال منها وزنه ١٢ منًّا ، وأكبره ما يجاوز ذلك ، ومن تماثيل الخليفة مالا يحد . . . وقاطرميز بلور فيه صور ثابته . . وطاوس ذهب مرصع بنفيس الجوهر ، عيناه من ياقوت أحمر

(١) المقريزي ص ٤٧٢ جـ ١

(٢) ص ٤١٥ و ٤١٦ جـ ١

وريشه من الزجاج المينا المجري بالذهب على ألوان ريش الطاوس . وديك من الذهب له عرف مفروق كأكبر ما يكون من أعراف الديوك ، من الياقوت الاحمر المرصع بسائر الدر والجوهر وعيناه ياقوت ، وغزال مرصع بنفيس الدر و لجوهر ، وبطنه أبيض قد نظم من در رائع .

وذكر ناصر خسرو فى كتابه (سفرنامه) . وهو رحالة جاب البلاد الشرقية سنة ٤٣٧ — ٤٤٤ هـ ودخل مصر . أنه رأى بها فى قصر الفاطميين دست الخليفة المستنصر . وهو من الذهب والفضة الخالصين ، وعليه كتابات وصور طيور وصيادين تشهد لصانعها بالحذق والبراعة .

وقال المقريزى : انه مما وجد فى خزائن المستنصر الفى عدل شقق طميم . جميع ما فيها مذهب معمول بسائر الاشكال والصور . . . وأخرج من الخسر والانخاخ السامان المطرزة بالذهب والفضة وغير المطرزة من المخرمة



مثال من صناعة الحفر على الخشب عند العرب فى العصر الاسلامى

والطيور والفيلة المصورة بسائر أنواع الصور شيء كثير . [1]

هـذا وقد اتخذ العرب الصور المختلفة الاشكال على معظم اثاثهم ورياشهم على سبيل التبسط بالرخاء والتفـاخر بالثروة

وفي دار الآثار العربية آثار كثيرة من اثاثهم . منها لوح خشب من خزانة عليه صورة طائر بديع الصنع بقى بعضه وذهب سائره ، وكرسى من صفر عمل سنة ٧٢٨ هـ للناصر محمد بن قلاون عليه القابه مكتوبة بالخط الكوفي وعليه صور بط اشارة الى معنى قلاون بالتركية . واطار باب من خشب عليه صور من الحيوان والطيور الكثيرة البالغة الغاية من المهارة فى التصوير

(١) المقريزى ص ٤١٦ و ٤١٧ جـ ١

التصوير في الحمامات

عنى العرب بنقش الصور على جدران الحمامات، لعلمهم انها تنشط الجسم وتزيل عنه الافكار والهموم. وقد كانوا يختارون لها الاصباغ الحسنة المفرحة، ويرسمون الصور الحيوانية والنفسانية والطبيعية، لكى تكون سلوة المستحم وتسليته. وقد أفيضت حكمتهم فى ذلك الى أن النفس تطرب بالنظر الى مثل تلك الصور وتستأنس بها

وكانت الحمامات منتشرة فى كل الاقطار العربية، حتى ذكر أنه كان فى بغداد وحدها خمسة آلاف منها

وقد قال مرة الخليفة الوليد لأهل دمشق. ياأهل دمشق انكم تفخرون على الناس باربع، بهوائكم، ومائكم وفاكهتكم، وحماماتكم.

ذكر الحسن المتطبب (فى القرن السادس) : انه رأى ببغداد فى دار الملك شرف الدين هرون بن الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن محمد الجوينى، حماماً متقن الصنعة،

حسن البنـاء ، كثير الاضواء ، قد احتفت به الأنهـار والاشـجار ، وكانت بعض أنابيبه على هيئة طائر اذا خرج منها المـاء صوت بأصوات طيبـة . ورأى من العجيب فى خلوة به أن حيطانها الاربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه وبن صقال المرآة ، يرى الانسان سائر بشرته فى أي حائط شاء منها . ورأى أرض خلوة من الحمام وحيطانها مصورة بفصوص حمر وخضر ومذهبه صوراً فى غاية الحسن والجمال ، وجميعها بارزة مجسمة فى غاية الاتقان والسبك ، وهى صور نساء وفتيات في غاية الجمال ، وأشجار وأزهار وأطيار ، قد أفرغ الصانع لها جهده فجاءت كأنها صور حقيقية [١]

---

(١) مطالع البدور ص ٨ ج ٢

التصوير في الكتب

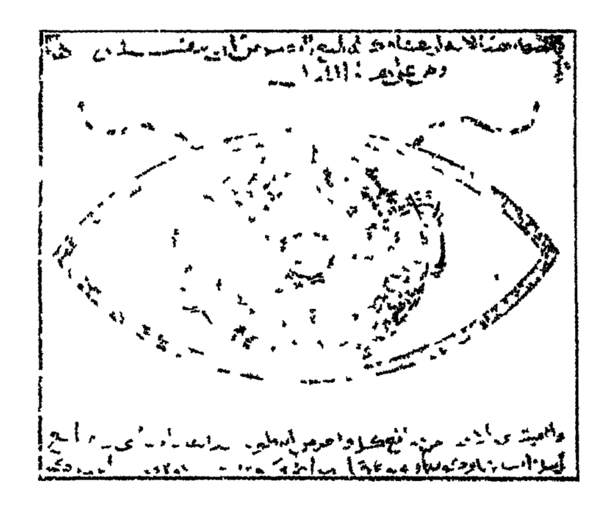
حفظ العرب فى كتبهم تاريخاً مجيداً لصناعة التصوير الملونة . ويمكن تقسيم تلك الكتب بحسب اختلاف موضوعاتها الى الاقسام الآتية

(١) الصور الطبية (٢) الصور الجغرافية (٣) الصور الهندسية والميكانيكية (٤) الصور الادبية والتاريخية (٥) الصور العلمية (٦) الصور الدينية

١ — الصور الطبية

هى قديمة فى تاريخ الصناعة العربية ، قلد العرب بها اليونان والفرس في القرن الاول الهجرى . وقد أفادهم انتشار كتب الطب المصورة فى انحاء البلاد في درس صناعة الطب وعلم التشريح والكيمياء

وقد وصل الى علمنا من تلك الكتب « كتاب الادوية



صورة تشريح العين ،
من كتاب تركيب العين لحنين بن اسحاق

المفردة » لرشيد الدين الصورى المتوفى سنة ٦٣٩ هـ وقد صور فيه الحشائش التى تدخل فى صناعة الطب وعمل الادويه والعقاقير . ويشبهه مخطوط تركي في الخزانة التيمورية، اسمه « كتاب الاقراباذين والمفردات الطبية » كتب فى اوائل القرن الثانى عشر للهجرة ، فيه رسوم للعقاقير النباتيه والاعشاب الدوائية فى غاية الاتقان ، تمثل بها الطبيعة تمثيلا مدهناً بالاصباغ على اختلاف ألوانها . ورسوم الآلات الكيماوية ومواعين صنع الأدوية والاستقطار ، كالانابيق والانابيب والاباريق والحمامات والكوانين والاجران والآلات الجراحية كالنيشترات والمباضع والسكاكين والمقصات والكلاليب وغيرها ، وقد لونت نصالها بما يشبه الفولاذ اللامع فى اتقن ما يكون

وأقدم ماوصل الينا من كتب التشريح مصورة .. « كتاب تركيب العين وعللها وعلاجها على رأى ابقراط وجالينوس » لحنين بن اسحاق . كتب سنة ٥٩٢ هـ وفيه بضع صور ملونة تمثل بعض اشكال العين ورطوباتها

وعضلاتها وحركاتها . وهو محفوظ ضمن مجموعة خطية نفيسة تشتمل تسعة كتب في امراض العين .

٢ — الصور الجغرافية

وهي تشتمل الخرائط وتخطيط البلدان وصور المدن والاقاليم . ويبتدىء تاريخها من القرن الرابع للهجرة تقريباً عند أول تأليف الجغرافية .

ومن جملة الكتب الجغرافية المصورة « كتاب الاقاليم » للاصطخري ويحوى جملة من الخرائط العربية المتقنة

ويدخل تحت هذا العنوان الكتب الحربية حيث كانت تصور في بعضها الحركات الحربية في ميادين القتال وصور ساحات السباق وخرائط الميادين . منها « كتاب تعبئة الجيوش » والف في النصف الاول من القرن الثامن للهجرة، موضحاً بسائر الاشكال الحربية . وكتاب « الجهاد والفروسية وفنون الآداب الحربية » والف في القرن الثامن وبه رسوم هندسية لميادين وطرق الهجوم والسباق وغير

ذلك ، وتوجد نسخة منه فى دار الـكتب الملـكية فى ٢١٤ صفحة كبيرة . وكتاب «الانيق فى المجانيق» لارنبغا الزردكاش والف في سنـة ٨٦٧ هـ ، وقد صورت فيه انواع المجانيق واجزائها وصور القلاع واماكن وضع المجانيق فيها ، وهو يحوى نحو ٥٠٠ رسم و ١٠٩ صفحة . وتوجد منه نسخة فى دار الـكتب الملـكية فى جملة كتب زكي باشا

وبهذه المناسبة نذكر ان العرب برعوا فى بناء الاشكال والصور البارزة . وناهيك بذلك الجبل الذى مثله بعض صناع المغرب الاقصى بكل مافيـه . فقد ذكر ابن بطوطه سنة ٧٥٠ هـ في رحلته [1] أن أمير المؤمنين ابو عنان سلطان مراكش أمر ببناء شـكل يشبه جبل الفتح (جبل طارق) فمثل فيه اشكال اسواره وابراجه وحصنه وابوابه ودار صنعته ومسـاجده ومخازن عدده وأهرية زرعه وصورة الجبـل وما اتصل به من القرية الحمراء ، فـكان شكلا عجيباً أتقنه الصناع اتقاناً يعرف قدره من شاهد الجبل وشاهد هذا المثال

(١) ص ١٨٥ ج ٢

٣ — الصور الهندسية والميكانيكية

كانت الكتب الميكانيكية تعرف بكتب الحيل ، وهى حديثة العهد فى تاريخ العرب ، وكانوا يصورون فيها الآلات الرافعة او المحركة على اختلاف انواعها كما فى « كتاب الحيل الجامع بين العلم والعمل » تأليف المهندس ابو العز ابن اسماعيل بن الرزاز الجزرى ، وبه اكثر من مائة رسم هندسى وميكانيكى لشرح الآلات واجزائها وآلات لرفع الماء وآلات سرية تظهر حركات مدهشة ، كأن تريك رجلا يمشى أو يتحرك أو يدق الساعة ، وهو من خشب أو حديد تحركه آلات مخفية . ومنه نسخة فى دار الكتب الملكية فى جملة كتب زكى باشا فى ٣٢٦ صفحة كبيرة منقولة من مكاتب الاستانه . وكتاب « الحيل الروحانية ومنجانيقا الماء » وقد نشره المستشرق الفرنساوى كارادى فو عن نسخة مخطوطة فى مكتبة باريس فيها كثير من الرسوم تمثل آلات مدهشة كالتنين الصناعى والطيور الصافرة . وكتاب « علم



مشهد من مشاهد الحارث بن همام فى مقامات الحريري

الساعات والعمل بها » لرضوان بن محمد الخراسانى ، صور فيه كل قطعة من الساعة وسماها باسمها ووصف مكانها وعملها. وتوجد منه نسخة فى دار الكتب الملكية من جملة كتب زكى باشا ، وهى منقولة من مكتبة كومبرلى ، وتقع فى ١١٥ صفحة . وبمعرض دار الكتب كثير من الرسوم الهندسية على الجلد والورق

٤ — الصور الأدبية والتاريخية

أقدم ما علم من هذا النوع كتاب «مقامات الحريرى» وتوجد منها نسخ خطية فى اكثر مكاتب أوربا ، ومنها ثلاث نسخ فى مكتبة باريس مصورة بابدع الصور مخطوطة فى القرن السادس الهجرى ، ونسخة في المتحف البريطانى فيها نحو ٨١ صورة ملونة مؤرخة سنة ٦٥٤ هـ

ويلي ذلك كتاب مخطوط فى المتحف البريطاني به صورة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحاصر حصن بنى النضير

وقد يدخل تحت هذا العنوان كتب الفروسية حيث تحتاج الي تمثيل الفرسان والخيول بالصور والاشكال ، ومن ذلك كتاب « السؤل والمنية في تعليم الفروسية » كتب سنة ٨٠١ هـ ، وتوجد نسخة منه في دار الكتب الملكية

وتدخل أيضاً فى ذلك كتب الرحلة والاقاليم إذ يضطر الرحالة فيها الى تصوير ما يصفه . ومن جملة تلك الكتب كتاب « نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر » وقد طبع فى بتروغراد سنة ١٨٦٥م وطبع بعضه فى باريس سنة ١٨٩٨م وترجم الى الفرنسية وطبع فى كوبنهاغن سنة ١٨٧٤ ، وبه رسوم مختلفة تمثل الاسماك الغريبة وآلة استقطار العطريات وكروية الارض وأقسامها وغرائب الأبنية فى الصين وطواحين الهواء فى سجستان وغير ذلك

٥ — الصور العامية

من ذلك النوع كتاب «عجائب المخلوقات» للقزويني فى الفلك والجغرافيا والطبيعة عند العرب . وقد طبع فى

غوتنجن سنة ١٨٤٩م وعلى هامش الدميرى بمصر سنة ١٣٠٩هـ وترجم الى معظم اللغات الحية

وكتاب « عجائب المخلوقات » لعبد الرحمن الشهير بأبي حسين الصوفى ، وألف فى القرن الحادى عشر ، وبه صور فلكية ملونة . وهو موجود بدار الكتب الملكية

وقد ذكر عن القاضى ابن رشد أبى الوليد الفيلسوف الفقيه أنه ألف كتابا فى الحيوان قدمه للخليفة . . . . وفيه صور جميع الحيوانات ووصفها ومنافعها وشكل حياتها وجهات وجودها

٦ — الصور الدينية

يكاد هذا النوع يكون نادراً عند العرب الا ما وجد في كتاب « الميزان الكبرى الشعرانية » وهو مدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم فى الشريعة المحمدية ، وطبع بمصر سنة ١٢٧٥ و ١٣٠٢ هـ . ألفه عبد الوهاب بن احمد بن علي الشعرانى . ومثل فيه صوراً لعين الشريعة وفروعها

والصراط لمن استقام فى دار الدنيا ومن أعوج وقباب الأئمة ونحو ذلك

هذا على أن فن التصوير فى الكتب انتقل الى غير العرب من المسلمين كالفرس والمغول والترك . وقد انتشرت فى الفرس الكتب المصورة لا سيما فى زمن الشاه أكبر خان الفارسي الشهير في القرن العاشر للهجرة . كالشاهنامة . وتيمور نامة ؛ وكليات السعدى ؛ وظفر نامة اليزدى ؛ وتاريخ رشيد الدين ، وغيرها من الكتب التاريخية والأدبية

وذكر الجبرتى من ترجمة والده المتوفى سنة ١١٨٨ هـ أنه اجتمع عنده من كتب الأعاجم مثل الكلستان ، وديوان حافظ ، والشاهنامة ، وقال : وبها من التشابيه والتصاوير البديعة الصنعة الغريبة الشكل .

وقال فى ترجمة الامير حسن بن شقبون المتوفي سنة ١٢٠٥ هـ أنه اقتنى الكتب النفيسة التي بخط العجم المصور بها صور الملوك البديعة الصنعة والاتقان



(صورة جند يستخدمون النار اليونانية)

(صورة تمثل الجند يحملون أدوات النفط)

صورة اختراع العرب للاسلحة النارية

وفي دار الكتب الملكية كتب فارسية كثيرة معروضة للجمهور مصورة بالألوان المتقنة بينها عجائب المخلوقات للطوسي ، والشاهنامة للفردوسي ، وغيرهما من الكتب العلمية والأدبية . وكثير من الكتب التركية الدقيقة الرسم الواضحة الألوان

التصوير على الرنوك

الرنك كلمة فارسية تطلق على الشعار ، وهو الرمز الذى تتخذه القبائل أو الاسر لتميزها بعضها من بعض ، وجمعه رنوك . ومعناه فى الاصل اللون . وللرنوك تاريخ قديم حيث اتخذها الانسان من زمان بعيد

استعمل الانسان الالوان لترمز لحالة معينة . فرمز مثلا باللون الاحمر للحرب ، واللون الاخضر للسلام ، وباللون الابيض للسرور ، واللون الاسود للحزن .

وفى ذلك يقول أحد الشعراء :

ولما رأت شيب رأسى بكت
وقالت عسى غير هذا عسى

فقلت البياض لباس السرور
فان السواد لباس الاسى

هذا وكان أهل الاندلس يستعملون لبس البياض حداداً ، كما أشار الى ذلك الشاعر بقوله :

يقولون البياض لباس حزن
بإندلس فقلت من الصواب
ألم ترنى لبست بياض شيبى
لأنى قد حزنت على الشباب

وقد كانت الدول الاسلامية تتخذ كل واحدة منهـا شعاراً خاصاً ،كالدولة الاموية حيث اتخذت لها اللون الابيض والدولة العباسية حيث اتخذت اللون الاسود .

ويقول المـاوردى فى كتابه « الحاوى » أن السبب فى اختيار العباسيين ذلك اللون هو أن النبي صلى الله عليه وسلم فى يوم حنين ويوم الفتح عقد لعمه العباس رضى الله عنه راية سوداء [١] وقد أشار إلي شعاري الدولتين احمد بن صابر أبو جعفر القيسى المغربى بقوله :

---

(١) وقد بقي هذا الشعار بمصر الى الآن بين السادات البكرية والعمائم السوداء خاصة بأرباب الطريقة الرفعية والحمراء بالاحمدية والصفراء بالبرهمية والخضراء بالقدرية

أتنكر أن تبيض رأسي لحادث
من الدهر لا يقوى له الجبل الراسي
وكل شعار فى الهوى قد لبسته
فراسى أموي وقلبي عباسي

وكان المأمون قد رفع لباس السواد ، وهو شعار دولته ولبس الخضرة ، فلما قدم الى بغداد اجتمع الهاشميون الى زينب بنت سليمان بن على ، وكانت أقعد ولد العباس نسبا وأكرمهم بيتا ، فسألوها أن تكلم أمير المؤمنين فى تغييره الخضرة ، فضمنت لهم ذلك ، وجاءت الى المأمون فقالت : ياأمير المؤمنين إنك على بر أهلك من ولد علي بن أبي طالب أقدر منك على برهم لنا من غير أن تزيل سنة من مضى من آبائك ، فدع لباسك الخضرة ولا تطمعن أحداً فيما كان منك . قال لها : يا عمة ما كلمنى أحد فى هذا المعنى بكلام أوقع من كلامك ، ولا أقصد لما أردت ، لكن رسول الله صلي الله عليه وسلم توفي وولي الامرة أبو بكر ، فقد عرفت ما كان من أمره فينا أهل

البيت ، ثم وليها عمر فلم يتعد فيها فعل من تقدمه ، ثم وليها عثمان فأقبل على بنى أمية وأعرض عن غيرهم ، ثم آل الامر الي علي بن أبي طالب من غير صفو كصفوها لغيره ، بل مشوبة بالأكدار ، فولى مع ذلك عبدالله بن العباس البصرة ، وولى عبيد الله بن العباس اليمن ، وولى قثم البحرين ، وما من أحد منهم الا ولاه ، فكانت هذه فى أعناقنا حتى كافأته فى ولده بما فعلت ، ولا يكون بعد هذا الا ما تحبون . ثم رجع الى لبس السواد [1]

وقال المقريزي : أنه فى سنة ٢٣٥ هـ أمر المتوكل على الله أهل الذمه بلبس الطيالسة العسلبة وعمل رقعتين علي لباس رجالهم تخالفان لون النوب قدر كل واحدة منهما أربع أصابع ولون كل واحدة منهما غير لون الأخري الخ ..

ولما قدم حنظلة بن صفوان أميراً على مصر في ولايته الثانية شدد علي النصارى وجعل على كل نصرانى وسما صورة أسد

---

(١) مروج الذهب ص ٣٧٣ حـ ٢

وكذلك أمر الحاكم بأمر الله في سنة ٣٩٨ هـ بتعليق خشبة على تمثال رأس عجل وزنها ستة أرطال فى عنق اليهود[١]

وقد ألزم الناصر محمد بن قلاون في سنة ٧٠٠ هـ اليهود بمصر والشام بلبس العمائم الصفر ، والنصارى بلبس الزرق ، والسامرة بلبس الحمر ، ففرق بذلك بين كل طائفة وأخرى[٢]

وفي سنة ٧٧٣ هـ رسم السلطان الاشرف للاشراف بالديار المصرية والشامية بأن يسموا عمائمهم بعلامة خضراء تمييزاً لهم عن الناس

وفى ذلك يقول أبو عبد الله بن جابر الاندلسى الاعمي :

جعلوا لابناء الرسول علامة   إن العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة في كريم وجوههم

يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وقال شمس الدين محمد بن ابراهيم الدمشقى :

---

(١) حسن المحاضرة ص ٢٠٠ ج ٢

(٢) حسن المحاضرة ص ٢١١ ج ٢ وابن اياس ص ١٤٣ ج ١

اطراف تيجان أتت من سندس خضر باعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصصهم بها
شرفا ليعرفهم من الاطراف [١]

***

اتخذ الامراء والملوك والسلاطين المسلمون لانفسهم من صور الحيوان والطيور والاسماك والزهور والادوات والعلامات المختلفة رنوكا (اشعرة) كانوا ينقشونها على ممتلكاتهم من الاثاث والاوانى والابنية والمساجد والاربطة والتكايا والاسبلة وغيرها

وفكرة الرنوك كانت موجودة عند قدماء المصريين . حيث كان لكل ملك مصرى شعار اما من ورق البردي وإما من صور الحيوانات والطيور [٢] ثم كانت

---

(١) حسن المحاضرة ص ٢١٤ ج ٢

(٢) لاتزال صور النسور والطيور الاخري كابى قردان والسباع وورق نبات البردى على انواعه وغيرها موجودة على الآثار المصرية المختلفة

الرنوك عند الفرس من واجبات الملوك ، فاتخذ كل واحد منهم رنكا خاصا . وانتشرت عن الفرس فقلدتهم فيها الدول الشرقية والغربية [١] . ولا بأس ان نذكر بعض رنوك الملوك في الاسلام لنعطى القارىء فكرة عنها

اتخذ الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى (صاحب جامع الظاهر) رنكه على صورة السبع اشارة الى شجاعته وبأسه ، وعندما أنشأ قناطره (تجاه مسجد السيدة زينب) نصب عليها صور السباع ، فسميت بقناطر السباع نسبة الى ذلك [٢] . وللآن موجودة صور السباع منقوشة على جدار قناطر أبي منجا بجهة قليوب

وقد جعل الظاهر رنكه هذا أيضا على نقوده

(١) آثار ذلك واضحة في رايات تلك الامم المختلفة الاشكال فللمسلمين الهلال ، وللاقباط الصليب ، ولفرنسا الثلاثة ألوان (الحرية والاخاء والمساواة) ، وللولايات المتحدة النسر ، وللصين الافعى ، ولليابان الشمس ــ هذا ولا ينسى ان رنك الاسرة المحمدية العلوية الكريمة التاج الملكى

(٢) المقريزي ص ١٤٦ ح ٢

ويشبه رنك الظاهر بيبرس رنك الامير يشبك الدوادار ، فقد ذكر ابن أياس[1] أنه كان على صفة سبع

ولما أنشأ أحمد بن طولون قصره بالقطائع وجعل له تسعة أبواب عرف أحدها بباب السباع لسبعين من جص كانا عليه

وكان رنك السلطان صلاح الدين يوسف الايوبى على صورة نسر ناشر جناحيه لا يزال مشاهدا على جدار بقلعة الجبل بمصر الى اليوم

وتوجد قطع كثيرة من الخزف بدار الآثار العربيه لملوك وامراء آخرين عليها صورة هذا الطائر وغيره

وكان أغلب ملوك الدولة البحريه بمصر والشام يتخذون من صور السمك رنوكا

وبعضهم اتخذ زهرة الزنبق كالاميرين طاز واينال اليوسفي وغيرهما

وكان رنك الامراء شيخو وقرا سنقر وطغاتمر الساقى

(١) ص ١٢٧ ﺣ ٢

وطشتمر الساقي وقوصون وتمراز الاحمدي وايتمش البجاسي وبهادر السلحدار ومحمود الكردى وغيرهم صورة كأس[1]

ورنك الاميرين السيفى ال ملك الناصرى وقراسنقر المنصورى (صاحب المكان الذى به الآن مدرسة الجمالية الاميرية) وغيرهما (مضربين) متقابلين

ورنك الاميرين السيفى طغيتمر الدوادار وجمال الدين الاستادار وغيرهما علامة هير وغليفية

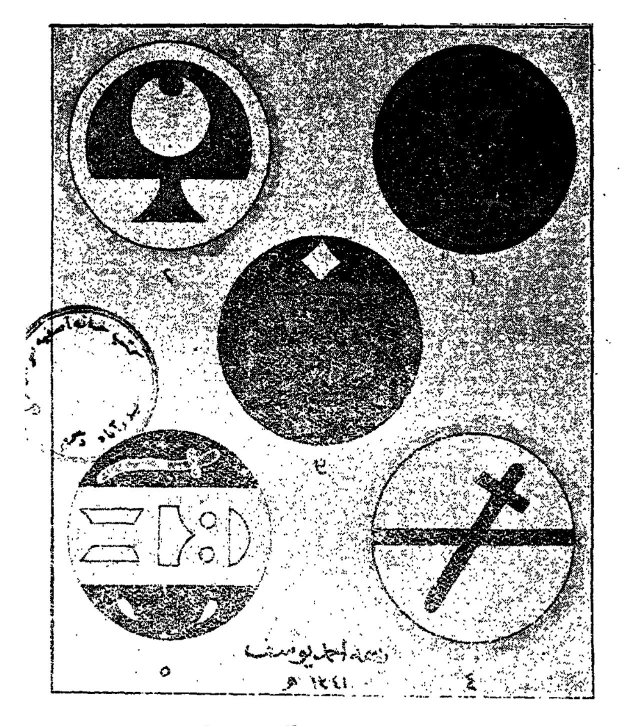
ومن الامراء من جمع فى رنكه اشكال رنوك مختلفة كالامير قانباى الجركسي والامير طراباى والأمير ازبك اليوسفي وغيرهم

وكثيرا ما اتفقت رنوك بعض الامراء فى الشكل واختلفت فى اللون ، أو اتفقت في اللون واختلفت في وضع الرنك ، بدليل رنوك وجدت على أثر باسم أمير ووجدت

---

(١) لايزال الكاس يستعمل فى الالعاب الرياضية وغيرها فى كل أمة متمدينة ، ويمنح للفائزين فيها كجائزة الشرف والتفوق

نماذج من الرنوك العربية



١ – رنك على قطعة فخار بدار الآثار العربية

٢ – رنك الامير الماس الحاجب

٣ – رنك الامير طرابای الاشرفی

٤ – رنك اقوش بن عبد الله المنصوری

٥ – رنك قانبای الجركسی

بعينها بلون مغاير على أثر آخر باسم أمير آخر . من ذلك رنك بوجهة محراب بخانقاه ابن غراب (بشارع درب الجماميز بمصر وهى الآن مدرسة سعد الدين العربى) وهو عبارة عن دائرة بداخلها علامة هير وغليفية في وضع افقي ، ووجد بعينه ولكن فى وضع رأسى بسبيل مسجد فرج بن برقوق ، وهو في الاصل رنك جمال الدين يوسف الاستادار ، ووجد بالوان مغايرة فى وضع افقي بمنبر وأبواب مسجد أبى بكر مزهر — إلى غير ذلك

وكان رنك اقوش بن عبد الله الدوادارى المنصورى الامير جمال الدين المعروف بالافرم دائرة بيضاء يشقها شطب أخضر عليه سيف أحمر يمر فى البياض العلوى والبياض السفلى على الشطب الاخضر .

وقال الشعراء فيه، من ذلك قول نجم الدين هاشم الشافعى :

سيوف سقاها من دماء عداته

واقسم عن ورد الردى لا يردها

وأبرزها فى أبيض مثل كفه

علي أخضر مثل المسن يحدها

وكان هذا الرنك في غاية من الظرف حتي أن النساء الخواطي وغيرهن كن ينقشنه على معاصمهن (راجع المنهل الصافى)



(نافورة السباع بالاندلس)

ووصف السرى الرفاء المتوفى سنة ٣٦٦ ه منارة فوقها تماثيل ، فقال :

صنعت فوقها التماثيل أيد
عاجزات عن صنعة الخلاق
ألبستها محاسن الخلق لما
عجزت عن محاسن الاخلاق
حيوان بلا حياة فمنه
حائد عن منية وملاق .

ووصف أبو الفرج الببغا المتوفى سنة ٣٩٨ ه تمثال سبع فى رمح ، فقال :

وضيغم فى ذابل يلوح
مساور تسيل منه الروح
جسم ولكن ليس فيه روح

وجلب الناصر للزهراء حوضاً منقوشا مذهبا من

الشام ، وقيل من القسطنطينية ، وفيه نقوش وتماثيل وصور على صور الانسان لاتقدر بقيمة . ولما نصب هذا الحوض نصب عليه اثنى عشر تمثالا من الذهب مرصعة بالدر النفيس الغالي ، مما عمل بدار الصناعة بقرطبة ، صورة أسد . الى جانبه غزال ، الى جانبه تمساح ، وفيما يقابله ثعبان وعقاب ، وحمامة ، وشاهين ، وطاوس ، ودجاجة ، وديك وحدأة ، ونسر . »

وقال المقريزى أثناء تكلمه على سوق الحلاويين :

« ولقد رأيت مرة طبقا فيه نقل ، وعدة شقاف من خزف أحمر في بعضها لبن وفي بعضها أنواع الاجبان ، وفيما بين الشقاف اخيار والموز ، وكل ذلك من السكر المعمول بالصناعة . قال : وكانت لهم أيضاً أعمال من هذا النوع يحير الناظر حسنها وكان هذا السوق فى موسم شهر رجب من أحسن الاشياء منظراً ، فانه كان يصنع فيه من السكر أمثال خيول وسباع وقطاط وغيرها تسمى العلاليق ، واحدها علاقة ، ترفع

بخيط على الحوانيت ، فمنها مايزن عشرة الى ربع رطل تشترى للاطفال ، فلا يبقى جليل ولا حقير حتى يبتاع منها لأهله وأولاده . وتمتلىء أسواق البلدين مصر والقاهرة وأريافهما من هذا الصنف . اهـ (١)

ووصف الاترج أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبي فقال .

أوما ترى الاترج منضوداً لنا
سطراً كأشخاص جثون على الركب
وكأنما أجسادها وجسادها
صور السلاحف قد صنعن من الذهب (٢)

وكان للافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى مجلس يجلس فيه للشرب ، فيه صور ثمان جوارى

(١) الخطط . ص ٩٩ حـ ٢

(٢) يتيمة الدهر ص ١٢٤ حـ ٣

متقابلات . أربع منهن بيض من كافور ، وأربع سود من عنبر ، قيام فى المجلس ، عليهن أفخر الثياب وأثمن الحلى ، بأيديهن أحسن الجواهر . فاذا دخل من باب المجلس ووطىء العتبة نكسن رؤوسهن خدمة له . فاذا جلس فى صدر المجلس استوين قائمات [1]

(١) أخبار مصر لابن ميسر ص ٥٨

مصورو العرب وطبقاتهم

فى الاسلام

فى الاقطار الاسلامية من أقصاها الى أقصاها تنقل فن التصوير فقابل نفوسا ميالة وقلوبا شغوفة دفعها حب الجمال الى اعتناقه ، فاشتغل به أربابه آخذين صناعته عن اليونان والرومان ، وضربوا فيه بسهم وافر ، وأبلغوه درجة كبيرة من الاتقان والكمال

وفيهم وضع كتاب « ضوء النبراس . وأنس الجلاس . في أخبار المزوقين من الناس » الذى اشتهر باسم كتاب « طبقات المصورين » . (١) ولو كان هذا الكتاب موجوداً الآن لكشف عن تاريخ فن التصوير فى الاسلام ولأفاد الباحثين افادة كبيرة فى معرفة أخبار المشتغلين به . ولكن وصلت الينا بعض أسماء أولئك المصورين بعد

---

(١) ذكر المقريزى اسم هذا المؤلف فى خططه ص ٣١٨ ج ٢

البحث الطويل . ونذكرهم في كتابنا معجبين بأعمالهم مفتخرين بأسمائهم :

(حمدان الخراط)

أحد مصوري البصرة في النصف الأخير من القرن الثاني للهجرة . كان مصوراً قديراً في صور الاشخاص والحيوان [1]

(١) ذكر صاحب كتاب الاغاني : أنه كان اتخذ جاما (أناء من فضة) لانسان وكان بشار بن برد الاكمه عنده ، فسأله بشار أن يتخذ له جاما فيه صور طير تطير ، فاتخذه له وجاءه به . فقال له مافى هذا الجام ؟ فقال طير تطير . فقال : كان ينبغي ان تتخذ فوق هذه الطير طائراً من الجوارح كانه يريد صيدها ، فانه كان أحسن . قال ، لم أعلم . قال: بلى ، قد علمت : ولكن علمت أني أعمى لا أبصر شيئا ، وتهدده بالهجاء . فقال له حمدان : لاتفعل ، فانك تندم. قال : أو تهددني ايضا ؟ قال: نعم . قال: فأي شيء تستطيع أن تصنع بي إن هجوتك ؟ قال: أصورك على باب داري بصورتك هذه وعلى عاتقك قرداً آخذاً بلحيتك حتى يراك الصادر والوارد . قال بشار: اللهم أخزه ، أنا أمازحه وهو يأبي الا الجد . اه (نقلت بتصرف) — ص ٢٧ ج ٣

(أبو بكر محمد بن الحسن)

ذكر ابن خلكان أنه كان يعانى صناعة النقش فاشتهر اسمه بالنقاش . ثم اشتغل بالعلم والتفسير . ولد سنة ٢٦٥ ه

(بنو المعلم)

هم شيوخ فن التصوير كما ذكرهم المقريزى فى خططه. وقد ذكر أنهم كانوا يشتغلون بهذه الصناعة فى مصر . ووصف لهم من أعمالهم تزويق جامع القرافة . وذكر أنهم صوروا فيه على قنطرة قوس مزوقة فى منحني حافتيها شاذروان مدرج بدرج وآلات سود وبيض وحمر وخضر وزرق وصفر ، اذا تطلع اليها من وقف في سهم قوسها رافعاً رأسه اليها ظن أن المدرج المزوق كأنه خشب كالمقرنص . واذا أتى الى أحد قطرى القوس نصف الدائرة ووقف عند أول القوس منها ورفع رأسه رأى ذلك الذي توهمه مسطحاً لا نتوء فيه . قال : وهذا من أفخر الصنائع عند المزوقين

(الـكتامى)

أحد تلاميذ بني المعـلم . من صوره الشهيرة صورة صنعها بدار النعمان بقـرافة الفسطاط بمصر تمثـل سيدنا يوسف فى الجب وهو عريان ، والجب كله اسود اذا نظره الانسان ظن ان جسمه بان من دهن لون الجب [١]

(النازوك)

ذكره المقريزي فى تلاميذ بنى المعلم

(القصير)

أحد مصورى العصر الفاطمي فى مصر . كانوا يشبهونه فى التصوير بابن مقـلة فى الخط . وأشهر أعمـاله صـورة تخيلية عملها في حضرة الوزير البازورى (ذكرنا خبرها فى ص ٧٤ و ٧٥ من هذا الكتاب) تمثل صورة راقصة بثياب بيض فى صورة حنية (عقد) دهنها اسود ، ترى كأنها داخلة في صورة الحنية . وذكر المقريزى أنه كان يشتط فى اجرته . ويلحقه عجب فى صنعته

---

(١) المقريزى ص ٣١٨ حـ ٢

(ابن عزيز)

من مصورى العصر الفاطمي . استدعاه الوزير البازورى من العراق لمحاربة القصير فى التصوير . فصنع في حضرته عكس الصورة التى صنعها القصير . فصور الراقصة في ثياب حمر في صورة الحنية وقد دهنها أصفر. ينظرها الرائى كانها بارزة من الحنية

(أبو العز)

أحد المصورين علي الخزف . ورد اسمه على بعض قطع خزفية مما عثر عليه حضرة العالم الآثارى « على بك بهجت » فى أطلال الفسطاط .

(الغيبى)

مثال سابقه

(الغيبي الشامى)

ورد اسمه هكذا على بعض قطع الخزف فى دار

الآثار العربية . ولعله هو الغيبي السابق الذكر ، أو هما اثنان مختلفان

(غزال) و (المصري) و (محمد بن المبارك الصورى)

مثل سابقيهم

(على بن محمد أمكي)

أحد المصورين على الزجاج . له مشكاة بديعة بدار الآثار العربية صور عليها بالالوان أحد الرنوك ، وكتب عليها اسمه

(محمود السفيانى)

من المصورين علي الصفر (النحاس) كتب اسمه على تنور عليه رسوم موجود بدار الآثار العربية

(الهرمزى)

أحد المصورين على الخزف . له بدار الآثار العربية قطع كتب عليها اسمه

(رضوان بن محمد الخراساني)

ألف كتاب (علم الساعات والعمل بها) يقع فى ١١٥ صفحة تكلم فيه عن صناعة الساعات بالتفصيل والدقة ، وصور كل قطعة منها وسماها باسمها ووصف مكانها وعملها . موجود منه نسخة بدار الكتب الملكية في جملة كتب زكى باشا ، منقولة من مكتبة كوبرلى

(ابراهيم بن غنائم بن سعيد)

أحد مهندسي القرن السابع الهجرى . كان متصلا بالملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ..وهو الذى بني له ابنيته بدمشق، ومن جملتها قصراً بمرجة دمشق ،ذكره ابن طولون الصالحى فى كتابه (ذخائر القصر ، بتراجم نبلاء العصر) وقال : انه عمل على وجهته الشرقيه مائة أسد منزلة صورها (ربما كانت منزلة صورها بأسود فى أبيض) وعلى الشمالية اثني عشر أسداً منزلة صورها بأبيض فى أسود

(على بن محمد)

أحد مصورى القرن الثامن الهجرى . له بدار الاثار

العربيـة صورة محراب قائم على عمودين وبأعـلاه قنديل معلق فيه ، صوره سنة ٧١٦ هـ وكتب عليه اسمه

(محمد بن سنقر البغدادى) .

عمل للناصر محمد بن قلاون سـنة ٧٢٨ هـ كرسيا من صفر حلاه بالنقوش البديعة ، وصور عليه صوراً من البط . محفوظ فى دار الآثار العربية

(بدر أبو يعلي)

أحـد المزخرفين . له بدار الآثار العربيـة تنـور مزخرف منقوش بالرسوم البديعة المحكمة الصنعة . عليه تاريخ سنة ٧٣٠ هـ

(أحمد بن يوسف بن هلال الحلبى)

كان مزوقاً ومزخرفاً بارعاً . أولع بصنع الأوضـاع المستحسنة العجيبة في رسومه وزخارفه . وبرع فى النقش والتذهيب والتزميك (التزين بالذهب والألوان) . توفى سنة ٧٣٧ أو ٧٣٨ هـ

(جواد بن سليمان بن غالب اللخمى)

ضرب فى فنون كثيرة ، فاشتغل بالتصوير ، والزركشة ، والنجارة ، والتطعيم ، واتقنها جميعها ، وبلغ الغاية فى نقش الخواتم واجراء الميناء عليها ، وبرع فى النقش ورسم الهياكل المدورة في المصاحف وغيرها . ومات سنة ٧٥٦ هـ

(محمد بن على بن عمر)

أحد مصورى القرن الثامن الهجري . كان يعرف بشمس الدين الدهان بسبب معاناته صناعة الدهانة . وكان فوق ذلك ملما بصناعات أخري . وعاني صناعة التصوير فصور صور الناس بدليل ما هجاه به جمال الدين الصوفى فى بيتين من الشعر

(شعيب بن محمد بن جعفر التونسى)

عانى كسابقيه فنونا مختلفة . ولكنه اشتهر في الترميك ، وبرع فيه . مات سنة ٧٧٠ هـ

(أبو العز بن اسماعيل بن الرزاز الجزرى)

كان يلقب ببديع الزمان . وهو من مهندسى الحيل

(الميكانيكا) ألف كتاباً اسمه (كتاب الحيل الجامع بين العلم والعمل) في النصف الاخير من القرن الثامن الهجرى . وذكره صاحب كشف الظنون فى حرف الكاف باسم (كتاب الآلات الروحانية) وقال انه ألفه لقره ارسلان الارتقي، وجعله ستة أنواع سادسها في بعض الاشكال والصور . وقد أكثر فيه من الرسوم بشرح الآلات وأجزائها ، وفيها البنكام الذى يعرف به ما مضى من ساعات النهار ، وآلات رفع الماء ، وآلات سرية تظهر حركات مدهشة كأن يريك رجلا يمشي أو يتحرك أو يدق الساعة وهو من خشب أو حديد تحركه آلات مخفية. توجد منه نسخة فى دار الكتب الملكية فى جملة كتب زكي باشا فى ٣٢٦ صفحة كبيرة وأكثر من ١٠٠ رسم هندسي وميكانيكي منقولة من مكاتب الاستانة

(عبد الرحمن بن على بن محمد)

كان يعرف بابن مفتاح ، وبالدهان . لمعاناته صناعة الدهانة، وكان يشتغل بها ويكتسب منها توفى قريب سنة ٨٦٠هـ

(أرنبغا الزردكاش)

ألف كتاب (الانيق في المجانيق) لشمس العلاء منكلى بغا الشمسى سنة ٨٦٧ ﻫ . وصف فيه المجانيق وكيف يرمى بها على اختلاف أنواعها . وأوضح ذلك بالاشكال التفصيلية . أى أنه وصف كل نوع من المجانيق وصوره وصور كل جزء منه وسماه . توجد نسخة منه في دار الكتب الملكية في جملة كتب زكى باشا فى ١٠٩ صفحة ونحو ٥٠٠ صورة بين رسوم ميكانيكية للمجانيق وأجزائها وصور القلاع وأماكن وضع المجانيق ووصف سقى السيوف وسائر الآلات القاطعة

(محمد بن علي الموصلى)

نقش اسمه على منارة من صفر محلاة بالذهب والفضة والكتابة الكوفية عليها صور آدميين وصنوف من الحيوان محفوظة بدار الآثار العربية وعليها تاريخ سنة ٨٨٠ ﻫ .

(موسي بن عبد الغفار السمديسى)

عانى صناعة التذهيب فبرع فيها وتفوق وصار من أئمة صناعها . وكان موجوداً سنة ٨٧٠ ﻫ

(على بن عبد القادر بن محمد النقاش)

أخذ صناعة النقش عن زوج أمه وبرع فيها واشتغل في حانوت بالصناعة وتكسب منها . وتوفى سنة ٨٨٠ ﻫ

(محمد بن محمد بن أحمد)

كان يعرف بشمس الدين الرسام . برع فى فنون عدة كالتذهيب وعمل المزهرات وقص الورق والصاق الصيني وتميز فى صناعة الرسم . وكان موجوداً فى سنة ٨٨٥ ﻫ

(عبد على البغدادى)

أحد مصورى مدرسة تيمور لنك التى أنشأها فى سمرقند وأعماله بها تعد فى الطبقة الأولى بين زملائه . وهو من مصورى القرن التاسع الهجرى

(مرشد بن محمد)

عرف بابن البصرى . أجاد صناعات من بينها صناعة

التذهيب . وكان موجوداً سنة ٨٩٤ هـ

(ابن السداد)

أحد مزخرفي النصف الاخير من القرن التاسع الهجرى وكان بارعاً فى صناعه التذهيب

(ظهير العجمى)

كان معاصراً لابن السداد . وكان مزخرفاً ولكنه اشتهر فى شطف اللازورد

(محمد بن محمد بن عيسى القاهرى)

كان بارعا فى فنون مختلفة . وعانى صناعة التذهيب وتدرب فيها على ابن السداد . وفى شطف اللازورد على ظهير العجمى ، وكان موجوداً فى سنة ٨٩٥ هـ

(أحمد الوقم)

من مصورى القرن الحادى عشر . له فى دار الآثار العربيه لوح من القاشانى رقم عليه صورة الكعبة وبعض

المشاهد بالحرم ، وعلى حواشيه منائر وأبواب . عمله سنة ١٠٧٤ هـ

(محمد الدمشقي)

احد مصوري القرن الثاني عشر . كتب اسمه على لوح من القاشاني بدار الآثار العربية ، عليه صورة مكة والكعبة . صوره سنة ١١٣٩ هـ

(عبد الكريم الفاسي)

اشتهر بالذريع . وكان من المصورين على القاشاني في القرن الثاني عشر . له بدار الآثار قطع عليها اسمه على بعضها سنة ١١٧١ هـ

***

هذا وقد اشتغل بصناعة التصوير مصورون في الصدر الاول للهجرة ، يدل على ذلك مارواه البخاري ومسلم عن رجل جاء الى ابن عباس رضى الله عنه يستفتيه في أمر

التصوير ، فقال : انى رجل أصنع هذه الصور فافتنى . . : .
الى آخر ماجاء فى الحديث

وقد قابلت امرأة الجاحظ في بعض الطريق فقادته
الى صانع صور لتريه الشيطان فيصوره لها

-٣٢-
كلمات لبعض الحكماء المتقدمين

١

من المنقول عن ابن سينا فى كتاب له اسمه « حفظ الصحة » فى وصف الحمامات وما يجب فيها وترتيبها قوله :

« ... والحمام النافع على سبيل الاجمال هو الحمام المعقول فى حره وبرده ، الطيب الرائحة ، العذب الماء ، وأضواؤه كثيرة مشرقة . وفناؤه واسع . وفيه تصاوير لآدميين ، بديعة الصنعة ، بينة الحسن . ومثل رياض وبساتين وطرد خيل ووحوش ... الخ »

*
* *

٢

وقال الحكيم بدر الدين بن مظفر قاضى بعلبك فى كتاب « مفرح النفس » :

« قد أجمع الاطباء والحكماء والألباء قاطبة على أن

النظر الى الصور الجميلة البديعة الجمال ، يفرح النفس وينشطها ، ويزيل عنها الافكار ، والوساوس السوداوية ، ويقوي القلب قوة لا مزيد عليها ، بسبب ازالة الأفكار الرديئة عنه . ثم قالوا : فان تعذر حصول النظر الى الصور الجميلة ، فايكن النظر الى صور جميلة متقنة الصنعة مصورة فى الكتب أو فى الهياكل أو فى القصور الشريفة »



٣

وقال الحكيم محمد بن زكريا الرازى

« ان الصور الجميلة اذا جمعت الى صورتها حسن الاصباغ المألوفة من الاصفر والأحمر والاخضر والابيض مع حفظ نسبة المقادير في أشكالها ، فانها تشفي الاخلاط السوداوية ، وتزيل الهموم الملازمة لنفس الانسان ، وتزيل الكدورة عن الارواح — لان النفس تلطف وتشرف بالنظر الى مثل هذه الصور فيتحص ما فيها من الكدورة ، وتفكر فى

الحكماء المتقدمين الذين استنبطوا الحمّام فى مدد من السنين ، كيف علموا بدقة فكرهم وصائب عقلهم ، أن الحمام اذا دخله الانسان يتحلل من قواه شيء كثير ، فأفيضت حكمتهم أن استخرجوا بعقولهم ما يجبر ذلك سريعاً . فرسموا فى الحمام صورا بديعة الصنعة بأصباغ حسنة مفرحة . وقسموا ذلك الى ثلاثة أقسام . ولم يجعلوه قسما واحداً لأنهم علموا أن أرواح البدن ثلاثة أصناف ، حيوانية ، ونفسانية . وطبيعية ، فجعلوا كل قسم من التصوير سبباً لتقوية قوة من القوى المذكورة والزيادة فيها . صوروا للقوة الحيوانية القتال والحرب والخ... واقتناص الوحوش . وصوروا للقوة النفسانية العش... والتفكر فى العاشق والمعشوق وتصوير معاتبة بينهما أو معانقة وما أشبه ذلك . وصوروا للقوة الطبيعية البساتين وصور الاشجار البهية المنظر مع كثرة تصوير الأزهار والالوان المنوقة » (١)

---

(١) مطالع البدور ص ٧ ح ٢

-٣٣-

فتوى المرحوم الامام الشيخ محمد عبده

مفتى الديار المصرية سابقا [١]

« الصور والتماثيل وفوائدها وحكمها »

لهؤلاء القوم — أهل صقلية — (الايطاليين) حرص غريب على حفظ الصور المرسومة على الورق والنسيج . ويوجد في دور الآثار عند الامم الكبرى مالا يوجد عند الامم الصغرى كالصقليين مثلا . يحققون تاريخ رسمها واليد التى رسمتها . ولهم تنافس فى اقتناء ذلك غريب حتى ان القطعة الواحدة من رسم روفائيل مثلا ربما تساوى مئين من الآلاف فى بعض المتاحف . ولا يهمك معرفة القيمه بالتحقيق وانما المهم هو التنافس فى اقتناء الامم لهذه النقوش . وعدما اتقن منها من أفضل ماترك المتقدم

(١) ظهرت هذه الفتوي فى معظم الصحف العربية في مصر

للمتأخر . وكذلك الحال في التماثيل . وكلما قدم المتروك من ذلك كان أعلى قيمة وكان القوم عليه أشد حرصاً . . . وهل تدرى لماذا ؟

اذا كنت تدري السبب في حفظ سلفك للشعر وضبطه في دواوينه والمبالغة في تحريره ، خصوصاً شعر الجاهليه ، وماعنى الأوائل رحمهم الله بجمعه وترتيبه ، أمكنك أن تعرف السبب في محافظة القوم على هذه المصنوعات من الرسوم والتماثيل — فان الرسم ضرب من الشعر الذي يرى ولا يسمع ، والشعر ضرب من الرسم الذي يسمع ولا يرى —

ان هذه الرسوم حفظت من أحوال الاشخاص في الشؤون المختلفة ومن أحوال الجماعات في المواقع المتنوعة ، ما تستحق به أن تسمى ديوان الهيئات والأحوال البشرية . يصورون الانسان أو الحيوان في حال الفرح والرضا والطمأنينة والتسليم . وهذه المعاني المدرجة في هذه الالفاظ متقاربة ، ولا يسهل عليك تمييز بعضها من بعض . ولكنك تنظر في رسوم مختلفة فتجد الفرق ظاهراً باهراً .

يصورونه مثلا في حال الجزع والفزع والخوف والخشية — والجزع والفزع مختلفان في المعنى ولم أجمعهما ههنا طمعاً في جمع عينين في سطر واحد ، بل لأنهما مختلفان حقيقة . ولكنك ربما يقتصر ذهنك لتحديد الفرق بينهما وبين الخوف والخشية ، ولا يسهل عليك أن تعرف متى يكون الفزع ؟ ومتى يكون الجزع ؟ وما الهيئة التي يكون عليها الشخص في هذه الحال أو تلك ؛ . . أما اذا نظرت الى الرسم — وهو ذلك الشعر الساكت — فانك تجد الحقيقة بادرة لك ، تتمتع بها نفسك كما يتلذذ بالنظر فيها حسك . اذا نزعت نفسك الى تحقيق الاستعارة المصرحة في قولك : رأيت أسداً ، تريد رجلا شجاعاً . فانظر الى صورة أبي الهول بجانب الهرم الكبير . تجد الاسد رجلا ، أو الرجل أسداً . فحفظ هذه الآثار حفظ للعلم في الحقيقة وشكر لصاحب الصنعة على الابداع فيها . ان كنت فهمت من هذا شيئاً فذلك بغيتي . اما اذا لم تفهم فليس عندي وقت لتفهيمك بأطول من هذا — وعليك بأحد المقومين و

الرسامين أو الشعراء المفلقين ليوضح لك ما غمض عليك ، اذا كان ذلك من ذرعه . . .

ربما تعرض لك مسألة عند قراءة هذا الكلام . وهي ما حكم هذه الصور في الشريعة الاسلامية إذا كان القصد منها ما ذكر من تصوير هيئات البشر في انفعالاتهم النفسية أو أوضاعهم الجثمانية . هل هذا حرام أو جائز أو مكروه أو مندوب أو واجب ؟؟ فأقول لك :

ان الراسم قد رسم والفائدة محققة لا نزاع فيها . ومعنى العبادة وتعظيم الصورة أو التمثال قد محى من الأذهان — فاما أن تفهم الحكم من نفسك بعد ظهور الواقعة ، وإما أن ترفع سؤالا الى « المفتى » وهو يجيبك مشافهة . فاذا أوردت حديث « ان أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون » أو ما في معناه مما ورد في الصحيح ، فالذى يغلب على ظني أنه سيقول لك أن الحديث جاء في أيام الوثنية وكانت الصور تتخذ في ذلك العهد لسببين . الاول : اللهو . والثانى : التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين — والاول مما يبغضه

الدين ، والثاني مما جاء الاسلام لمحوه — والصور في الحالين شاغل عن الله أو ممهد للاشراك به . فاذا زال هذان العارضان وقصدت الفائدة ، كان تصوير الاشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر في المصنوعات — وقد صنع ذلك في حواشي المصاحف وأوائل السور ، ولم يمنعه أحد من العلماء مع أن الفائدة في نقش المصاحف موضع النزاع . . أما فائدة الصور فما لا نزاع فيه على الوجه الذي ذكر . وأما اذا أردت أن ترتكب بعض السيئات في محل فيه صور طمعا في أن الملكين الكاتبين أو كاتب السيئات على الأقل لا يدخل محلا فيه صور كما ورد في حديث (إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة) فاياك أن تظن أن ذلك ينجيك من إحصاء ما تفعل ، فان الله رقيب عليك وناظر اليك . حتى في البيت الذى فيه صور ، ولا أظن الملك يتأخر عن مرافقتك اذا تعمدت دخول البيت لأن فيه صور . ولا يمكنك أن تجيب المفتي بأن الصورة على كل حال مظنة العبادة . فاني أظن أنه يقول لك إن لسانك أيضا مظنة

الكذب . فهل يجب ربطه مع أنه يجوز أن يصدق كما يجوز أن يكذب

وبالجملة انه يغلب على ظني أن الشريعة الاسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم ، بعد تحقيق أنه لا خطر فيها على الدين لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل . على أن المسلمين لا يتساءلون الا فيما تظهر فائدته ليحرموا أنفسهم منها . والا فما بالهم لا يتساءلون عن زيارة قبور الاولياء أو ما سماهم بعضهم بالاولياء ، وهم ممن لا نعرف لهم سيرة ولا يطلع لهم أحد على سريرة ، ولا يستفتون فيما يفعلون عندها من ضروب التوسل والضراعة . وما يعرضون عليها من الاموال والمتاع — وهم يخشونها كخشية الله أو أشد ، ويطلبون منها ما يخشون أن لا يجيبهم الله فيه ، ويظنون أنهم أسرع الي اجابتهم من عنايته سبحانه وتعالى . ولا شك أنهم لا يمكنهم الجمع بين هذه العقائد وعقيدة التوحيد ولكن يمكنهم الجمع بين عقيدة التوحيد ورسم صور الانسان والحيوان لتحقيق

المعاني العامية وتمثيل الصور الذهنية

هل سمعت أننا حفظنا شيئا حتى غير الصور والرسوم مع شدة حاجتنا الى حفظ كثير مما كان عند أسلافنا . لو حفظنا الدراهم والدنانير التي كان يقدر بها نصاب الزكاة . ولا يزال يقدر بها الى اليوم ، أفما كان يسهل علينا تقدير النصاب بالجنيهات والمرنكات ونحو ذلك ما دام المثال الاول موجوداً بين أيدينا ؛ ولو حفظ الصاع والمد وغيرهما من المكاييل . أفما كان ذلك مما ييسر لنا معرفة ما يصرف في زكاة الفطر وما تجب فيه الزكاة من غلات الزرع بعد تغيير المكاييل؟ وما كان علينا الا أن نقيس مكيالنا بتلك المكاييل المحفوظة فنصل الى حقيقة الامر بدون خلاف . أظنك توافقني على أنه لو حفظ درهم كل زمان وديناره ومده وصاعه لما وجد ذلك الخلاف الذى استمر بين الفقهاء يتوارثونه خلفا عن سلف . كل منهم يقدر المكيال والميزان بما لا يقدر به الآخر . . . .

لو نظرت الى ما كان يوجب الدين علينا أن نحافظ عليه لوجدته كثيراً لا يحصى عده ، ولم نحفظ شيئا منه . فلنتركه كما تركه من قبلنا . ولكن ما نقول في الكتب وودائع العلم ، هل حفظناها كما كان ينبغى أن نحفظها ؟ أو أضعناها كما لا ينبغي أن نضيعها ؟

ضاعت كتب العلم ، وفارقت ديارنا نفائسه . فاذا أردت أن تبحث عن كتاب نادر أومؤلف فاخر أومصنف جليل أو أثر مفيد فاذهب الى خزائن بلاد أوربا تجد فيها ذلك . أما بلادنا فقلما تجد فيها الا ما تركه الاوربيون ولم يحفلوا به من نفائس الكتب التاريخية والادبية والعلمية . وقد تجد بعض النسخة من كتاب فى دار الكتب المصرية مثلا وبعضها الآخر فى دار الكتب بمدينة كمبردج فى البلاد الانجليزية . ولو أردت أن أسرد لك ماحفظوا وضيعنا من دفتر العلم لكتبت لك فى ذلك كتابا يضيع كما ضاع غيره ، وتجده بعد مدة فى يد أوروبي في فرنسا أو غيرها من بلاد أوروبا

نحن لا نعنى بحفظ شيء نستبقى نفعه لمن يأتى بعدنا ولو خطر ببال أحد منا أن يترك لمن بعده شيئا ، جاء ذلك الذى بعده أشد الناس كفراً بتلك النعمة . وأخذ فى اضاعة ما عنى السابق بحفظه له . فليست ملكة الحفظ مما يتوارث عندنا ، وانما الذى يتوارث هو ملكات الضغائن والاحقاد ، تنتقل من الآباء الى الاولاد ، حتى تفسد العباد ، وتخرب البلاد ، ويلتقي بها أربابها على شفير جهنم يوم المعاد — اه

- ٣٤ -

فتوي السيد محمد رشيد رضا(١)

إنى أرى أن علة ماورد من الاحاديث أمر ديني محض يتعلق بصيانه العقيدة في لوازم الشرك وشعائره . إذ لم يكن يعهد فى صدر الاسلام وقبله اتخاذ العرب للصور والتماثيل الالعبادة ، كالذى كان من ذلك على الكعبة الشريفة فأزاله النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح . فعلى هذا يحرم ما كان فيه قصد التعظيم الدينى ، وما كان شعاراً دينيا للكفار . اذا قصد به التشبه بهم ؛ أو كان بحيث يظن أنه منهم ، أو يذكر بعبادتهم وشعائرهم . فمقصد الاسلام ازالة الشرك

(١) مقتطفة من فتوي نشرت فى مجلة « المنار » الغراء لحضرة صاحبها صاحب الفضيلة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا ، جوابا لمستفت فى أمر الصور وحلها وحرمتها ، في عددها الصادر فى ٣٠ ذى الحجة سنة ١٣٣٠ هجرية

وشعائره والتشبه بأهله فيما كان عبادة دون موافقتهم فيما حسن من عادة ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس مثلما كان يلبس قومه ويدل على هذا أمر النبي عائشة بهتك الستار الذى كان فيه الصور لأن المشركين كانوا يعلقون الصور وينصبونها بتلك الهيئة فلما جعلت منه وسادة استعملها النبي ولم يبال بالصور التى فيها لانها غير ممنوعة لذاتها. ولا لأنها محاكاة لخلق الله تعالى. ومن يقول أن علة تحريم التصوير واتخاذ الصور هو محاكاة خلق الله تعالى يلزمه تحريم تصوير الشجر (والجبال والانهار والاراضى والشمس والقمر والنجوم والآلات والادوات والدوائر والخطوط الخ) ولم يحرموه (وكلها من خلق الله) وما استدل به على ذلك لا يدل عليه بل معناه أن الله تعالى يظهر للمصورين عجزهم يوم القيامة تمهيداً لعقابهم على مساعدة الناس بتصاويرهم على عبادة غيره

وللتصوير منافع فى هذا الزمان كثيرة فى العلوم

كالطب والتشريح والتاريخ الطبيعي وفي الصناعات وفي السياسة والادارة والحرب وفي اللغة فان كثيراً من أسماء النباتات والحيوان لا تعرف مسمياتها في اللغة لعدم تصويرها وكتب اللغة لا تزيد في تعريفها على كلمة نبات م وحيوان م أي معروف . وما كل معروف عند اناس يكون معروفا عند غيرهم ولا كل معروف في زمن يكون معروفا في جميع الازمان

فالتصوير ركن من أركان الحضارة ، ترتقي به العلوم والفنون والصناعات والسياسة والادارة ، فلا يمكن لامة تتركه أن تجاري الامة التي تستعمله . ولكنه اذا استعمل في العبادات يفسدها : لأنه يحولها إلى وثنية . . . .

وقد كان النهي عن اتخاذ الصور من الوصايا العشر التي كانت في الواح موسى عليه السلام ، وهو نص لا يزال ثابتا في التوراة التي في أيدي أهل الكتاب ، لان التوحيد الذي هو أساس دين جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، لا يتفق مع اتخاذ الصور اتخاذا دينيا .

ولكن القرآن الحكيم اكتفى باثبات التوحيد بالبراهين العقلية والكونية والامثل التي تجعل المعنى المعقول كالشيء المرئي بالعيون الملموس بالاكف ، واوضحه بذلك وبفنون من البلاغة تستولي على القلوب . وتحيط بالفكر والوجدان من جميع نواحيها — فلم تبق مع هذا حاجة للنهي عن اتخاذ الصور والتماثيل . وانما نهى عنها النبي قبل نزول جميع القرآن ووصوله إلى الناس . اقرب عهدهم بالوثنية . ولو كان اتخاذ الصور والتصوير الذي هو ذريعة من المحرم لذاته على الاطلاق ، أو اضرر فيه لا ينفك عنه مطلقاً لكان محرماً على ألسنة جميع الانبياء .

ولما امتن الله على سليمان عليه السلام بقوله ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل » إلى قوله اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور ، فجعل ذلك من نعمه التي يشكر الله تعالى عليها — انتهى

*

هذا وانا نلفت نظر القارىء إلى فتوى في هذا

الموضوع لحضرة صاحب الفضيلة « الشيخ محمد بخيت »
مفتى الديار المصرية سابقاً طبعت حديثاً فى كتاب أسماه
« الرد الشافى فى التصوير الفتوغرافى » وتكلم فيه عن
التصوير اليدوى . وهى فصل الخطاب فى هذه المسئلة ،
انتهت بتحليل صناعة التصوير .

- ٣٥ -

الفنون الجميلة في القصور

المصورون من الملوك والامراء [١]

من النساء اللواتي شغفن بالتصوير مدام دى بومبادور عشيقة لويس الخامس عشر. ولها صورة تمثلها رسمتها بيدها وهى محفوظة إلى اليوم وفى أسفلها أربعة أبيات من نظم فلتير ومكتوبة بخطه [٢]. وكانت مارى انتوانت امرأة لويس السادس عشر تحب الرسم على الازرار فكانت ترسم عليها مناظر باريس وآثارها

وكانت الملكة هورنس (ابنة الامبراطورة جوزفين من زوجها الاول) مولعة بتصوير الوجوه والازهار بالماء (Aquarelle)

---

(١) نقلا عن مجلة الهلال مجلد ٢٤ (٢) ترجمة الابيات :
« بومبادور أن قلمك جدير أن يرسم وجهك فلم ترسم يد جميلة أجمل من ذلك الرسم »

ولا يخفى أن ابن الامبراطور نابليون الثالث الذى توفى فى زولولاند متطوعا فى الجيش الانجليزى بعد سقوط والده كان مغرما بتصوير معارك نابليون الاول وغيرها من المناظر العسكريه

ولدوق دومال بن لويس فيليب الاول ملك فرنسا اخوان شغفا بالتصوير أحدهما دوق نمور وله عدة مناظر عسكرية ، والآخر برنس جوانفيل الذى زين مذكراته بصور مرسومة بقلمه . وقد كان والد هؤلاء الامراء الملك لويس فيليب يصور أيضا فى بعض الاحيان . وأهم ماصوره صورة نفسه وصورة أخويه

والامبراطور غليوم الثانى (ابن فردريك) معروف عند الجميع بمواهبه المختلفة . فتارة تراه خطيباً وطوراً واعظاً ومرة مصورا وأخرى موسيقيا أو مؤلفا روائيا أو مهندساً أو غير ذلك . وأشهر ما أنتجته قريحته صورتان موضوع أولاهما صورة (الخطر الاصفر) وهى تمثل المانيا تدعو الدول الاوربية إلى الاتحاد تلافيا للخطر الاصفر القادم

وحفظا للمدنية . وموضوع الثانيــة (الخطر الاجتماعى) وهي تمثــل الماليا تحمى الفنون والمعارف من أعدائها . الا أن الامبراطور اكتفى بأن يرسم صورة مصغرة لهــذين المشهدين وكلف الاستاذ ناكفوس الالماني أن يكبرهما

وفى البلاط النمسوي اهتمت بالتصوير الأميرة مارى فليرى ابنة الامبراطور فرنسيس يوسف

وملــكة بلجيكا شغفة شغفا شديداً بالتصوير

وملــكة الانجليز فيكتوريا كانت تتقن تصوير الازهار . ومما يؤثر عنها أنها كانت تعرض صورها غــير مرة فى (أسواق الخير) حيث كانت تباع بأسعار عالية

وفى ايطاليا الملــكها الحالى كلف شــديد بالتصوير الشمسي . ولامرأته الملــكة هيــلانة تعلق بالموســيقى والتصوير .

وكان الملك كارلوس البرتغالى والد الملك مانويل الثاني يعد من أمهر المصورين ونال جائزة فى معرض باريس العام ومثله الملــكة أماليا الفرنسية الاصل

ونبغ من عائلة ويد الالمانيـة كثيرون من عشاق الشعر والتصوير . اهـ

أما عند العرب فلا نعلم إن كان بين ملوكهم وأمرائهم من اشتغل بالتصوير غير أن السلطان خمارويه بن أحمد ابن طولون كان مغرماً بجمـع الصور والنظر اليها . وقد مـلا قاعات قصره بها على أنواعها . وكان من أكابر غواة فن التصوير والمغرمين به والمغدقين على أربابه العطايا والهبات الجزيلة . ويظهر ذلك جليا من كثرة تردده على دير القصير ذلك الدير الحسن البنيان المحكم الصنعة النزه البقعـة ، للنظر الى صورة لم يكن يمل من النظر اليها والاعجاب بها وكانت هـذه الصورة موضوعة فى هيكله ، وهى صورة مريم عليها السلام فى لوح ، وكان الناس أيضا يقصـدون هـذا الموضع للنظر اليها لما اكتسبته من الشهرة العظيمة عند المغرمين بالتصوير ورجال هذا الفن الجميل[1]

ولا ننسى أن خليفة المسلمين الحالى السلطان المعظم

(١) المقريزى ص ٥٠٢ ج ٢

عبد المجيد خان مصور بارع . له من أعمال يديه ما يجعله من عداد كبار الفنيين

هذا وفي مصر قام حضرة صاحب السمو الامير محمد علي شقيق الخديو السابق وحضرة صاحبة السمو السلطاني الاميرة سميحه طاهر وشقيقتها المغفور لها الاميرة كاظمة حسين ابنتا حضرة صاحب العظمة السلطان حسين كامل الاول فسدوا فراغا كبيراً في فن التصوير المصرى بما أظهروه من آيات عبقريتهم وعظيم كلفهم برفعة الفنون الجميلة في الديار المصرية

– ٣٦ –

مميزات كبار رجال الفنون

يتميز كبار رجال الفنون من المشتغلين بها ذوى العقول الضعيفة بثلاث مميزات شدة الحساسية وقوة المخيلة والانكباب على العمل

هذه هي الصفات التي يرى رسكن توفرها فى كبار رجال الفنون

وقد يرى الكثيرون من رجال الفنون فى هذا العصر أن النشاط غير ضرورى للفنان بل يرى البعض أن الانكباب على العمل غير خليق به ومن المعقول أن النشاط وحده لا يخلق العظماء فى الفن فكثير من المشتغلين بالفنون يكبون على العمل ليلهم ونهارهم فلا يخرجون عملا له قيمة على أنك لا تجد عظيما من العظماء اشتهر بالكسل أو عرف به وكلهم ممن كانوا يصرفون أغلب وقتهم فى العمل

والاهتمام بدقائق صنعتهم لذلك لا تجد من المصورين فى العصر الحاضر من يبلغ درجة ليوناردو دافنشى الذى كان يخلط الالوان بنفسه أو ميكل انجلو الذى كان ينحت تماثيله على الرخام بنفسه

وليس كل من زادت حساسيته صار فنانا فبين الناس من كان كبير الاحساس جياش العاطفة واشتغل بالفنون ولكن لم يبلغ فيها مبلغاً عظيما .

على أن قوة الخيال شرط فيمن يريد أن يبلغ شأوا بعيدا فى عالم الفنون فهى التى ترفع من شأن المصور أو النحات أو غيرهما من رجال الفن وتميزه على أقرانه

واذا اجتمعت له الصفتان الاخيرتان بلغ مبلغا عظيما فى فنه وصار من أكابر ذلك الفن

(جريدة السياسة)

- ٣٧ -
الصورة والمصور

قـد لا يكون بين الفنون الجميـلة فن ينم عن خلق. صاحبه مثل التصوير فان الصورة هي أصـدق دليل على الحالة النفسية للمصور ساعة يمسك ريشته

فاذا رغب المصور حينئـذ فى أن يظهر لك شـيئا فى الصورة وكانت رغبته هـذه قوية فثق انك واجده واذا كان مترددا في وضع شخص أو جزء من منظر فى هـذه الصورة فلابد أن يظهر أثر هـذا التردد فى تصوير هذا الشخص أو الجزء من المنظر وقد يضطر المصور أحيانا الى أن يظهر فى الصورة أشياء لايرغب فى اظهارها فثق أنك تجد هذه الاشياء خالية من كل معنى وكأنها لم تكن

اذا تشتت فكر المصور وهو يعمـل في صورته أو نسى شيئاً أو شعر بدافع أقوى أو لم تكن نظرته عميقة أو اذا اشـتغل في الصورة وهو يشعر بالملل أو اذا قـل حبه

للصورة التى يصورها واذا تملكته رغبة شديدة في التصوير — كل هذه الحالات النفسية تظهر في عمل المصور واضحة جلية تبين لنا ماذا كان يشعر به المصور الماهر أمام نموذجه

(جريدة السياسة)

٣٨
بعض نوادر المصورين

الزباء والمصور

دعت الزباء ملكة الجزيرة رجلا مصوراً من أجود أهل بلادها تصويرا وأحسنهم عملا فجهزته وأحسنت اليه وقالت سر حتى تقدم على عمرو بن عدى متنكرا فتخلو بحشمه وتنضم اليهم وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور ثم أثبت لى عمرو بن عدى معرفة فصوره جالساً وقائما وراكبا ومتفضلا ومتسلحا بهيأته ولبسته ولونه فاذا أحكمت ذلك فاقبل الى — وكان أمر الزباء فى ذلك خوفا من عمرو بن عدى وحذراً منه — فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدى وصنع ما أمرته به الزباء وبلغ من ذلك ما أوصته به ثم رجع إلى الزباء بعمل ما وجهته له من الصورة على ما وصفت وأرادت أن تعرف عمرو ابن

عدى فلا تراه على حال إلا عرفته وحذرته وعلمت علمه

المصور والزاجر

روى أن كسرى ابرويز بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصوراً . فقال للزاجر انظر ماترى فى طريقك وعنده . وقال للمصور ائتنى بصورته . فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ، ثم قال للزاجر ماذا رأيت : قال مارأيت ماأزجر به الا أنه سيعلو أمره عليك . وضعت صورته على وسادتك[1]

المأمون والمانية

بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب الى قول مانى ويقول بالنور والظلمة من أهل البصرة فأمر بحملهم اليه بعد أن سموا اليه واحداً واحداً . فلما جمعوا دخل فى وسطهم طفيلى ومضى معهم وهو لا يعلم بشأنهم

(١) المستطرف ص ٩٥ ج ٢

حتى صار بهم الموكلون إلى السفينة فدخل معهم فما كان
بأسرع من أن جيء بالقيود فقيد القوم والطفيلي معهم .
وفى الطريق سأله القوم من أنت من اخواننا فقال والله
ما أدري غير أنى رجل طفيلي خرجت فى هذا اليوم من
منزلى فلقيتكم فرأيت منظراً جميلا وعوارض حسنة وبزة
ونعمة فقلت شيوخ وكهول وشباب جمعوا لوليمة فدخلت فى
وسطكم وحاذيت بعضكم كانى فى جملة أحدكم فصرتم الى
هذا الزورق فرأيته قد فرش بهذا الفرش ومهد ورأيت
سفراً مملوءة وجربا وسلالا فقلت نزهة يمضون اليها الى
بعض القصور والبساتين إن هذا ليوم مبارك فابتهجت
سرورا إذ جاء هذا الموكل بكم فقيدكم وقيدنى معكم .فقالوا
له الآن قد حصلت فى الاحصاء وأوثقت فى الحديد وأما
نحن فمانية غمز بنا الى المأمون وسندخل اليه ويسائلنا عن
أحوالنا ويستكشفنا عن مذهبنا ويدعونا إلى التوبة
والرجوع عنه بامتحاننا بضروب من المحن منها اظهار صورة
مانى لنا ويأمرنا أن نتفل عليها ونتبرأ منها ويأمرنا بذبح

طائر ماء وهو الدرج فمن أجابه إلى ذلك نجا ومن تخلف عنه قتل فاذا دعيت وامتحنت فاخبر عن نفسك واعتقادك على حسب ما تؤديك الدلالة إلي القول به وأنت زعمت أنك طفيلي والطفيلي يكون معه مداخلات وأخبار فاقطع سفرنا هذا الى بغداد بشيء من الحديث وأيام الناس . فلما وصلوا إلى بغداد وأدخلوا على المأمون جعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه فيخبره بالاسلام فيمتحنه ويدعوه إلى البراءة من مانى ويظهر له صورته ويأمره أن يتفل عليها والبراءة منها وغير ذلك فيأبون فيمرهم على السيف حتى بلغ إلي الطفيلي بعد فراغه من العشرة وقد استوعبوا عدة القوم فقال المأمون للموكلين من هذا ؟ قالوا والله ماندرى غير أنا وجدناه مع القوم فجئنا به . فقال له المأمون ما خبرك : قال يا أمير المؤمنين امرأتي طالق إن كنت أعرف من أقوالهم شيئاً وانما أنا رجل طفيلي وقص عليه خبره من أوله الى آخره فضحك المأمون ثم أظهر له

الصورة فلعنها وتبرأ منها وقال أعطونيها حتى أسلح عليها والله ما أدرى ماماني أيهوديا كان أم مسلما ؛ فقال المأمون يؤدب على فرط تطفله ومخاطرته بنفسه"[1]

الحب والتصوير

قال فتى من أصحاب الحديث : دخلت ديراً فى بعض المنازل لما ذكر لى أن به راهباً حسن المعرفة بأخبار الناس وأيامهم فسرت له لأسمع كلامه فوجدته فى حجرة معتزلة بالدير وهو على أحسن هيئة فى زى المسلمين فكلمته فوجدت عنده من المعرفة أكثر مما وصفوا فسألت عن سبب اسلامه فحدثنى أن جارية من بنات الروم كانت فى هذا الدير نصرانية كثيرة المال بارعة الجمال عديمة الشكل والمثال فأحبت غلاما مسلماً خياطا وكانت تبذل له مالها ونفسها والغلام يعرض عن ذلك ولا يلتفت اليها وامتنع عن المرور بالدير فلما أعيتها فيه الحيل ضنت رجلا ماهراً فى التصوير وأعطته مائة دينار على

(١) مروج الذهب ص٢٢٦ ج ٢

أن يصور لها صورة الغلام فى دائرة على شكله وهيئته ففعل المصور فلم تخطىء الصورة شيئاً منه غير النطق وأتى بها الى الجارية فلما أبصرتها أغمي عليها فلما أفاقت أعطت المصور مائة دينار أخرى — أخرج الراهب لى الصورة فرأيتها فكاد أن يزل عقلي — فلما خلت الجارية بالصورة رفعتها الى حائط حجرتها وما زالت كل يوم تأتى الصورة وتقبلها وتلثم ما تحب منها ثم تجلس بين يديها وتبكي فاذا أمست قبلتها وانصرفت فما زالت على تلك الحال شهراً فمرض الغلام ومات فعملت الجاريه مأتماً وعزاء سار ذكره فى الآفاق وصارت مثلا بين الناس ثم رجعت الى الصورة وصارت تلثمها وتقبلها الى أن أمست فباتت الى جانبها فلما أصبحنا دخلنا عليها لنأخذ من خاطرها فوجدناها ميتة ويدها ممدودة الى الحائط وقد كتب عليه هذه الابيات .

يا موت حسبت نفسى بعد سيدها

خذها اليك فقد أودت به فيها

أسلمت وجهي الى الرحمن مسلمة

ومت موت حبيب كان يعصيها

لعلها في جنان الخلد يجمعها

بمن تحب غداً في البعث باريها

مات الحبيب وماتت بعده كمداً

محبة لم تزل تشقى محبيها

قال الراهب : فشاع الخبر وحملها المسلمون ودفنت الى جانب قبر الغلام [1]

الحقيقة والخيال

روى أن مصوراً نقد آخر لأنه رسم سنبلة ولم يمل غصنها فتحاكما الى الملك فقال ليصور لنا كل واحد منكما ما يتقنه من الصور حتى نحكم له بعمله . ثم هيأ لهما غرفة وأمرهما أن يرسم كل منهما على جدار منها بشرط أن يكون الجداران

---

(١) كتاب الذيل الاول لثمرات الاوراق تأليف تقي الدين بن حجة . على هامش المستطرف طبعة شرف

متواجهين ثم أسدل بينهما ستراً وضرب أجلا ليوم الحكم

فأما المنقود فقد عصر مخه واستخرج منه كل مخبأة فى التصوير ورسم صورة بديعة متقنة الصنع تكاد تنطق من الاجادة

وأما الناقد فانه اجتهد فى صقل الجدار وطلاه طلاء أصبح به كالمرآة

فلما انقضى الأجل وجاء الملك ليرى رسم كل منهم، ومعه عيون دولته ورؤس مملكته أمر أن يزاح الستر من بين الرسمين ليقارنوا بينهما فانطبع رسم الاول فى مرآة الثانى وظهر الرسمان متوافقين فى كل الوجود. غير أن الناظرين شعروا كأن نفوسهم يأخذها رسم الناقد بالتأثير ويفعل فيها مالا يشعرون بمثله من الاول. ذلك لأن الخيال أقرب الى النفس من الحقيقه ولأن الخيال مفتاح التأثير(١)

(١) كتاب الادب مصري

المصـور ميسونييه

والغنى البخيل

تعرف ميسونييه المصور الشهير الى رجل من الاغنياء كان يحب أن يظهر بمظهر المشجع للفنون الا أنه كان بخيلا

ففي ذات مساء كان ميسونييه يتعشى عنده فأعجب ببياض غطاء المائدة ونعومته وصاح قائلا ان الانسان ليحبب اليه أن يرسم على هذا الغطاء وأخرج قلما من أقلام الرسم ورسم عليه رأس رجل أظهر فيه مقدرة كبيرة

ولم يرسل هـذا الغطاء للغاسلة قط فان الغنى البخيل قطع منه الصـورة بعناية ووضعها في اطار وعلقها لديه . وكيف لا يفعل وقد وصله كنز ثمين بغير أن يكلفه شيئا؟

وحدث بعد ذلك أن تعشى ميسونييه عند هذا الغنى البخيل وكان الغطاء هذه المرة أنخر من السابق على أنه وضع فى الجانب الذى جلس عنـده ميسونييه بضعة أقلام من

أحسن أقلام الرسم . ولما انتهى الطعام امسك ميسونييه قلماً من الاقلام وبدأ يرسم .

وقام الجالسون من على المائدة وميسونييه منهمك في عمله وصاحب الدار يكاد يرقص طرباً وهو يرمق ميسونييه بين كل آونة وأخرى بناظره . وبعد ذلك قام ميسونييه واستأذن وانصرف .

وما بلغ الباب حتى هرول صاحب الدار الى غطاء المائدة . ولم يرسل الغطاء هذه المرة ايضاً الى الغسالة لان ميسونييه كان قد أعمل فيه مبراته فمزقه كل ممزق [1]

سائق عربات ينقد صورة مصور

عرض جاك دافيد المصور المشهور الذي كان في ايام الامبراطورية الاولى صورة تاريخية عظيمة الحجم كان قد أتمها وانخرط في سلك الجمع المزدحم أمامها يسمع ما يقوله الناس عنها . وكان عجبه شديداً عند ما رأى سائق عربات

(١) نقلا عن جريدة السياسة

بين الجمع لم يمدح الصورة بل ألوى نظره عنها وعلامات الاستهجان على وجهه . فاقترب منه المصور وسأله : ألم تعجبك الصورة ؟

فأجاب السائق كلا انها لم تعجبني .

فقال له المصور : ولكن الست ترى علامات الاعجاب ظاهرة على وجوه العالم كله ؟ فماذا ترى فيها مستهجنا ؟

فقال السائق : انظر يا سيدي الست ترى أن مصورها قد أخطأ فانه صور الزبد على أشداق الفرس وليس في فمها لجام فمن أين تأتي الرغوة ؟ فسكت المصور وأسرع حين اغلاق المعرض الى اصلاح الصورة بنزع الرغوة منها .

قوة الذاكرة

كان مصور مسافراً وهو يحمل مبلغاً كبيراً من النقود. في كيس علقه حول عنقه فنزل ليلا ببلد لم يجد فيه خانا فأنزله أحد الأهالي ضيفاً عنده ولما رأى أنه يحمل ذلك المال الكثير لبث يرقبه حتى نام فدخل عليه حجرته يسترق الخطى لكيلا يستيقظ وسلبه المال وحمله بلطف وخفة

وألقاه فى الطريق بعيداً عن الدار ولما استيقظ الرجل من نومه فى الصباح وجد نفسه فى الطريق ولا مال معه فذهب الى الحاكم وشكا اليه أمره فسأله الحاكم « أتعرف من مضيفك بالأمس ؟» فقال : لا ولكنى مصور ماهر أستطيع أن أصور لك أهل البيت الذى كنت فيه فتعرفهم أنت وعمالك »

ثم اختلى المصور فى غرفة وصور كل أعضاء تلك الأسرة الخائنة فعرضت الصورة على الأهالى فعرفوهم وجاءوا بهم الى الحاكم فأقروا بذنبهم وردوا المال الى صاحبه وعاقبهم الحاكم عقابا شديداً

فكرة غريبه

استأجر أحد المصورين الغربيين غرفة فى فندق وحدث ان سرقت اللصوص نقوده فلم يحزن لذلك كثيراً وما كان منه الا ان صور على الحائط المقابل لباب الغرفة صورة نفسه وهو جالس الى المكتب يفكر باهتمام عظيم وكانت الصورة مشابهة له تمام الشبه أما المكتب الأصلي فانه نقله الى جانب

ولما انتهت مدة اقامته جاء الى غرفته صاحب الفندق ليطالبه بالأجر فوجد البـاب مغلقا فنظر من ثقبه فاعتقد أنه (كما هو فى الصورة) يفكر فى أمر هام فلم يشـأ أن يقلق أفـكاره لأن ذلك مخالف للقانون فأمهله ليلة أخري حتى إذا عاد اليه وجده لم يزل على حالته الاولى فتركه هذه المرة أيضاً ولما عاد فى الليلة الثالثة دهش لأنه وجده هذه المرة جالساً أيضاً يفكر ففتح الباب بنفسه ودخل الى الغرفة فلم يجد ذلك المزعوم الا تصويراً فى الحائط والرجل الحقيقى جالس الى مكتبه فى الركن الآخر من الغرفة . فاستلقى على ظهره من الضحك . ولمـا علم أمر المصور قبله ضيفا حيث شاء بغير مقابل

اعتذار جميل

طلب غنى من مصور أن يرسم له صورة قرية بسيطة وسط مزرعة جميلة، وفى هذه القرية معبد فخم . فلبى المصور الطلب ورسم هـذه الصورة بالزيت بكل اتقان الا أنه لم يرسم فيها ولا صورة بشرية لأنه لا يحسن بعـد تصوير

البشر . فلما رأى الغنى الصورة أعجب بها كثيراً ولكنه أسف لعدم وجود بعض الناس فيها . فقال المصور انى لما وضعت هذا الرسم كان الناس داخل المعبد يعبدون الله ولا سبيل لأخذ رسمهم من الخارج . فضحك الغنى من هذا التخلص وضاعف له الاجر .

- ٣٩ -

كلمة ذهبية

كيف ننظر الى الفنون الجميلة

لعل أكبر الأسباب فى انحطاط الأمة المصرية تأخرها فى الفنون الجميلة ـ التمثيل والتصوير والموسيقى ـ هذه الفنون ترمى جميعها على اختلاف موضوعها الى غاية واحدة هى تربية النفس على حب الجمال والكمال . فاهمالها هو نقص فى تهذيب الحواس والشعور

***

دخلنا قصر اللوفر وكنا أربعة من المصريين لنمتع النظر بأبدع ما جادت به قرائح أعاظم الرجال فى العالم . فبعد أن تجولنا فى غرفتين جلس أحدنا على أحد الكراسى قائلا : أنا اكتفيت بما رأيت وها أنا منتظركم هنا . وقال الثانى : اتبعكما أنا لأنى أحب المشي وأعتبر هذه الزيارة رياضة لجسمي . وسار معنا شاخصا أمامه لا يلتفت الي اليمين ولا

الى اليسار . وما زال كذلك حتى وصلنا قاعة المصاغ والحلى وحينئذ تنبهت حواسه وصار ينظر الي الذهب ثم صاح (هذا ألطف ما في هذه الدار) وصلنا الى تمثال آلهة الجمال الفريدة في العالم أجمع فسألت دليلنا : ماذا تساوى هذه الصورة اذا عرضت للبيع ؟

فقال : انها تساوى ثروة أغنى رجل في العالم . تساوى كل ما يملكه الانسان . تساوى ما يقدره لها حائزها ويطلبه ثمنا لها . إذ لاحد لقيمتها

(المرحوم قاسم امين بك)

رأيت أن أختم كتابي بهذه الأبيات الشيقة وهي من قصيدة في تكريم نابغة مصر في فن الحفر الاستاذ محمود مختار لحضرة الشاعر المجيد صاحب الامضاء

الفن

ان الفنون من الجمود مديلة
ولها بعستن الرقى منار
واذا تفرقت المشارب ضمها
مجرى الفنون وسافها التيار
الفن اشفاق الحياة ورفقها
وذوو الفنون ملائك أبرار
يستغفرون عن المصائب للورى
ويسبحون فتنتقى الاكدار
وكأنهم عبرات عين زمانهم
ان هاجه لذوى الاسى استعبار

وكأنهم ندم المثاب اذا طغى
وبغى الزمان الثائب الغدار
ان الزهور من التراب مثارة
والفن من نفس الجمال مثار
لا تهملوا أمر الفنون فانها
لنهوضنا ورقينا معيار
أتموت فى مصر الفنون وانما
من افقها شاعت لها أنوار
هذى عجائز فن مصر نواضرا
فكأنهن نواشىء أبكار
فيكبروها للتقادم انما
جمالها وجلالها الاكبار

محمد بيومى على

شاعر بلقاس

(اعتراف بجميل)

أقدم جزيل شكري ، وأطيب ثنائي ، لكل من تكرم بمساعدتي . أما بنفائس معلوماته وغوالي نصائحه ، أو بتشجيعي لاتمام أول مجهود من مجهوداتي في سبيل احياء (الفنون الجميلة) بمصر التي وقفت حياتي لخدمتها بكل ما أوتيت من قوة وجهد

أخص بالذكر منهم حضرات الاساتذة الافاضل ، « محمد افندي ادهم » الكتبي ؛ و « سليم افندي حسن » العالم الآثاري ؛ و « محمد افندي ناجي » ، و « راغب افندي عياد » . المصورين البارعين ، و « محمود افندي مراد » المدرس بالمدرسه الخديويه ، و « رجب افندي عزت » المدرس بمدرسة الفنون والزخارف

واني لأحفظ لهؤلاء جميعهم ، وأذكر ما حييت عطفهم ، وأعترف بفضلهم

احمد يوسف

فهرست

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

الفات نظر

وقعت بعض غلطات فى هذا الـكتاب لا تخفى على القارىء اللبيب .

ونلفت نظره الى صحيفة ٤٦ سطر ٦ فى كلمة (تأراء) وصحتها (وراء) وفي سطر ٧ كلمة (وسر) وصحتها (تأسر)

وفى السطر الطولى فى صحيفة ٧٢ سنة (٧٧٧١) وصحتها (١٧٧٧)

ذكرنا فى أول هذا الكتاب عند تكلمنا على نوابغ المصورين في التصوير ان الاستاذ (يوسف افندى كامل) يدرس الآن بايطاليا فبمزيد السرور نقول انه عاد الى وطنه العزيز بعد أن أعلى مركز مصر وبرهن على نبوغ المصرى باحرازه شهادة (الليسانس) فى التصوير وهى أكبر شهادة في العالم فى هذا الفن . ثم حاز أيضاً الشرف فى قبول معرض رومه بعض صور من أعماله

وقد فاز بهذه الشهادة من المصريين أيضاً الاستاذ (راغب أفندي عياد) من بعده

ونحن نثبت هنا بكل التقدير ان الاستاذين (يوسف افندي كامل) المدرس بمدرسة الاعدادية الثانوية و(راغب افندى عياد) المدرس بمدرسة كلية الاقباط اتفقا على ان يدرسا الفن فى ايطاليا فيسافر أحدهما للدراسة ويشتغل الآخر فى مصر نائبا عن اخيه اى انه يدرس فى المدرستين ويرسل مرتب زميله اليه ليساعده علي المعيشة هناك فاذا أتم هذا الزميل الدراسة يحضر الى مصر ويقوم بما أداه زميله ويرسل اليه مرتبه . وأولهما مسلم والآخر مسيحي . وهذا أكبر شاهد على شهامة المصرى وكرم أخلاقه واعلى مثال للاتحاد ؟

﴿ ختام ﴾

تم بحمد الله كتاب التصوير . وهو الجزء الاول من سلسلة (الفنون الجميلة قديما وحديثا) وان كان في الحياة بقية تبعناه ان شاء الله جزء الموسيقى . والله يوفق للخير . عليه التوكل . وبه نستعين .

المؤلف .